ملخص البحث

يـــدور هذا البحث حول إظهار الجانب الأدبي في حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – الخاص بوصفه لصحـــابته الكرام بهذا الأسلوب البيـــاني المعجـــز الرائع المتضمن أبعـــاداً إيمانية ونفسية وحسية ، ثـــم إظهار البناء الفني من خلال القيم التعبيرية (الألفـــاظ – الأســـاليب – الموسيقـــى) ، والقيم المعنوية (طبيعة المعانى والأفكار) والقيـــم التصويريـــة (أنواع الصورة ووسائل التصوير) ؛ تأكيداًعلى إثبات جانب الإعجاز الأدبي والبلاغي في الحديث النبوي عامة ، وفي هذا الجانب على وجه الخصوص ، وإظهار المقومات الفنية لهذه الظاهرة الأدبية فى الحديث الشريف .

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده ، إمام البلغاء ، وأفصح من نطق بالضاد ، سيدنا محمد ، وعلى الآل والصحب الكرام الذين سعدوا بصحبته ، واستحقوا محبته ، وبعد:

فإن دراسة البيان النبوي ، وإظهار تفرده وخصوصيته أمر قديم من لدن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) مروراً بالشريف الرضي (ت ٣٥٩هـ) وصولا إلى العصر الحديث فى جهود مصطفى صادق الرافعى بإسهاماته الرائدة في هذا المجال المبارك .

بيد أن الأمر اللافت للانتباه هو قلة هذه المؤلفات التي تغوص في بحر بلاغة وبيان النبي محمد ﷺ وظواهره الأدبية ، وهو بحرخضم لاينضب معينه ، تتضاءل دونه قدرات البشر المبدعين من أرباب الفصاحة والبيان ، هذا بالإضافـــة إلى أن بعـــض تـــلك المؤلفات الحديثة تكاد تخلو من دراسة الحديث النبوي دراسة أدبية مستفيضة تتعانق فيها المعرفة الأدبية والنقدية مع البلاغة العربية المعاصرة ، فضلا عن أن بعض تلك المؤلفات انحرفت عن طريق الجادة ، حيث استشهدت – في بعض المواقف – بالأحاديث غير الصحيحة ، مما قد يؤدي إلى الوقوع في دائرة الكذب على رسول الله ﷺ وعدم الدقة في تحديد سمات بيانه ﷺ .[1]

من هذا المنطلق كانت هذه الدراسة المتواضعة (وصف النبي ﷺ للصحابة– الرؤية والتشكيل) التي تعين على استجلاء بعض الأحاديث الصحيحة التي وصف فيها الرسول ﷺ صحابته الأطهار وصفاً دقيقاً له دلالاته المتعددة ، مما يؤكد على بديع بيانه ، وكامل بلاغته تعبيراً وتصويراً ، مستعيناً فيها بالمنهج الوصفي التحليلي، في محاولة للربط بين الرؤية والتشكيل .

وتنقسم هذه الدراسة إلى أربعة مباحث ، تسبقها مقدمة عن الموضوع ، ثم تمهيد يدور في عجالة حول التذكير بفن الوصف في الإطار الأدبي والنقدي ، ثم بمفهوم الصحابي وطبيعة العلاقة بين الرسول ﷺ

---

[1] ينظر فى ذلك – على سبيل المثال لا الحصر – : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية للدكتور / كمال عز الدين ، ص ١٨٩ ، ٢٤٢، ٢٥٤ ، ٢٧٠، ٢٨٢ ، ط دار اقرأ ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

وصحابته ؛ وذلك لبيان سبب وصفه إياهم بهذه الصفات ، ثم يأتى صلب البحث فى المبحث الأربعة تعقبها خاتمة ، ثم فهرس للمصادر والمراجع ، وآخر للمحتوى .

أما المبحث الأول: فيتحدث عن (البعد الديني والإيماني) ويدور المبحث الثاني حول : (البعد النفسي والخلقي) ، أما المبحث الثالث : فيتناول (البعد الحسي والموقف العملي) ، ثم يأتي المبحث الرابع والأخير فيرصد (البناء الفني) ويتمحور إلى محاور ثلاثة ، يدور المحور الأول حول القيم التعبيرية (الألفاظ ، والأساليب ، و الموسيقى) ، ويرصد المحور الثاني: القيم المعنوية (طبيعة المعاني والأفكار) ، أما المحور الثالث والأخير : فيتناول القيم التصويرية ،حيث يرصد أهم (وسائل التصوير) في وصف النبي ﷺ للصحابة ، ثم تأتي الخاتمة التى تشتمل على أهم نتائج البحث .

وأخيراً ، فلست أدعي بحالٍ أنني وفيت هذه الدراسة حقها ، ولكن حسبي أني اجتهدت قدر استطاعتي في إبراز فكرة أظنها جديدة تسهم في بناء صرح الدراسات الأدبية الحديثة حول الأدب الإسلامي في مجال البيان النبوي .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

د/ خالد طلعت عبد الفتاح الخولي

التمهيد : أولا : فن الوصف في الإطار الأدبي والنقدي

الوصف في اللغة هو: " من وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفةً: حَلاّه،... وقيل: الوصف المصدر والصِّفة: الحِلْية"[٢]

والوصف في اصطلاح النقاد القدامى هو " ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات "[٣] ، وأجود الوصف عند أبي هلال العسكري هو:"ما يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراهُ نصب عينيك " [٤]، أما ابن رشيق: فيرى أن " الشعر إلا أقله عائد إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه، وهو مناسب للتشبيه، مشتمل عليه، وليس به" [٥] ، ويرى بعض النقاد، أن الوصف في كل شيء نوعان: خيالي وحسي، فالوصف الخيالي يعتمد التشبيه والاستعارة، ويحاول أن يستحضر الموصوف من الذاكرة ، أما الوصف الحسي فهو تصويـــر للموصوف ، ولا ريب في أن الوصف الحسي أبلغ، وأجود، وأندر ، وأكثر صعوبة من الوصف الخيالي.[٦]

ووصف الرسول ﷺ للصحابة – في هذا الإطار من البحث – هو من النوع الحقيقي القائم على تصوير الموصوف – أعني الصحابة رضوان الله عليهم– تصويـــرا صادقا ، لامجال فيه للكذب ، أو لما يتطلبه الشعر من أدوات تساعد على الصدق الفني وليس الواقعي ، يقول الرافعي ، مؤكدا هذا المعنى : " ...فعمله أن يهدي الإنسانية لا أن يزين لها ، وأن يدلها على ما يجب في العمل ، لا ما يحسن في صناعة الكلام ، وأن يهديها إلى ما تفعله لتسمو به ، لا إلى ما تتخيله لتلهو به ، والخيال هو الشيء الحقيقي عند النفس في ساعة الانفعال والتأثر به فقط ، ومعنى هذا أنه لا يكون أبدًا حقيقة ثابتة ، فلا يكون إلا كذبًا على الحقيقة ، ثم هو ﷺ ليس كغيره من بلغاء الناس : يتصل بالطبيعة ليستملي منها ؛ بل هو نبي مرسل متصل بمصدرها الأزلي ليملي فيها ..... ، فلا موضع للخيال في أمره ، إلا ما كان تمثيلًا يراد به تقوية الشعور الإنساني بحقيقة ما في بعض ما يعرض من باب الإرشاد والموعظة."[٧]

****

[٢] لسان العرب لابن منظور ، المجلد السادس ص ٤٨٤٩ ، ط دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ .

[٣] نقد الشعر لقدامة بن جعفر، ص ١٣٠، ط مكتبة الكليات الأزهرية ، ط أولى ، ١٣٩٨هـــ .

[٤] الصناعتين / أبو هلا ل العسكري ، تحقيق/ علي البجاو ي– محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٢.

[٥] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ،تحقيق /محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج١، ص ٢٤٩، الطبعة الرابعة ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢م .

[٦] ينظر : الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث إعداد/ هبة إبراهيم منصور اللبدي ، ص ١١، رسالة ماجستير ، مخطوطة ،بجامعة النجاح الوطنية / كلية الدراسات العليا ٢٠١٢م .

[٧] وحي القلم / مصطفى صادق الرافعي ج٣ ، ص٢٠،٢١ ، راجعه د/ درويش الجويدي، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت.

ثانيا: مفهـــوم الصحـــابـــي

يرى جمهور المحدثين أن الصحابي هو " كل مسلم رأى رسول الله ﷺ ولو لحظة "[٨] ، وهذا هو مذهب أحمد بن حنبل والبخاري فى صحيحه والمحدثين كافة ، فمما قاله البخاري : " أن من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم " .[٩]

وذهب أصحاب الفقه والأصول إلي أن الصحابي هو من طالت صحبته له ﷺ [١٠] ، ومنهم من بالغ ، فكان لايعد في الصحابة إلامن صحب الصحبة العرفية[١١]،ويروى عن سعيد بن المسيب أنه كان لايعد في الصحابة إلا مـــن أقـــام مـــع النبي –ﷺ– سنة فصاعداً ، أوغزا معه غزوة فصاعداً[١٢] ، ومنهم من اشترط في ذلك أن يكون حين اجتمـــاعه بالغـــا ، وهو مردود ؛ لأنه يخـــرج مثل الحســـن بن علي ونحوه من أحداث الصحابة[١٣] .

والمقبول من ذلك كله أن الصحابي هو– كماعرفه البخاري وأحمد وغيره من جمهور المحدثين – مَن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين – زاد ابن حجر– ومات علي ذلك[١٤]، وزاد الجرجاني في تعريفاته " وإن لم يرو عنه"[١٥] ، والراجح أن الجن تدخل في هذا التعريف " لأن النبي ﷺ بعث إليهم ، وهم مكلفون ، وفيهم العصاة والطائعون"[١٦] ، وهذا في من رآه وهوعلى قيد الحياة الدنيوية ، أما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح أنه ليس بصحابي.[١٧]

هذا ، وقدأثنى المولى ﷻ فى القـــرآن الكريم على صحابة النبي ﷺ في آيـــات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [١٨]، كما أثنى النبي ﷺ – فى أحاديث كثيرة – على صحابته رضوان الله عليهم أجمعين :

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ،ثم الذين يلونـــهم ،ثم يجـــيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته "[١٩]، وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ :

---

[٨] شرح النووى علي صحيح مسلم ج١، ص٣٥ ، ج١٦ ، ص٨٥ ، ج١ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٢هـــ

[٩] فتح الباري ج٧ ص٨ ، ط دار مصر للطباعة الطبعة الأولي ، ١٤٢١هـــ – ٢٠٠١م .

[١٠] شرح النووي على صحيح مسلم ، ج ١ ، ص٣٦ .

[١١] فتح الباري ج٧ ص٤٦.

[١٢] السابق الصفحة .

[١٣] السابق ج٧ ص٧ .

[١٤] السابق والصفحة .

[١٥] التعريفات للجرجاني تحقيق إبراهيم الإيباري ج١ ص١٧٣ الطبعة الأولي دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـــ.

[١٦] فتح الباري ج٧ ص٧.

[١٧] السابق والصفحة .

[١٨]سورة الفتح آية رقم (٢٩).

[١٩] فتح البارى ج٧ ، ص٥ ، حديث رقم ٣٦٥١.

"يـــأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ، فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ؟ ، فيقولون نعم ، فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول لله ﷺ ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم ."[٢٠]

وإنما كان أصحاب رسولله ﷺ خير القرون ، لأنهم الذين " آووه ونصروه وجاهدوا معه ، وتصدقوا بفضول أموالهم مـــع الحاجة ، وباعوا النفوس لله ورسوله ."[٢١]

طبيعة العلاقة بين الرسول وصحابته:

ممالا ريب فيه أن العلاقة الوطيدة بين الرسول ﷺ وصحابته باتت قائمة على الحب المتبادل والتقدير الكامل ، فكثيراً ما كان يرفع من شأن أصحابه ، ويعلي من قدرهم ويقف بجانبهم تجاه من يعاديهم ، حيث قال ﷺ :" لاتسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولانصيفه "[٢٢]

ولم تكن علاقته – ﷺ – بصحابته علاقة أمير بمأمورين ، أورئيس بمرؤسين ، أو علاقة من هو أعلى بمن هم أدنى منه مرتبة ، بل كانت علاقته بهم ذات طبيعة خاصة ، تشبه– في الرحمة – علاقة الوالد الحاني بولده ، وتشبه – في التربية – علاقـــة المربي الشفيق والمعلم البارع بتلميذه النجيب، فيقول : "إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم"[٢٣]

ومن هنا نبت الحب في قلوب الصحابة تجاه الرسول ﷺ ، يقول الإمام علي رضي الله عنه : "كان والله أحب إلينـــا من أموالنا وأولادنا وأبنائنا وأمهاتنا ، ومن الماء البارد علي الظمأ"[٢٤]، وهوالحب الذي قال عنه أبو سفيان – قبـــل إسلامـــه – :"مـــا رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً"[٢٥]، وهو – أيضاً – الذي قال عنه الصحابي الجليل عمرو بن العاص :"ما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجلَّ في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه".[٢٦] ولم يتولد هذا من فراغ ، بل أتى نتيجة طبعية لما كان يلقاه هؤلاء الصحب الكرام من

---

[٢٠] السابق والجزء ، ص٥، حديث رقم ٣٦٤٩.

[٢١] الفواكه الدوانى لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوى المالكى ، ج١ ص١٠١،دارالفكر،بيروت ١٤١٥هـــ.

[٢٢] البداية والنهاية لابن كثير ، جـــ٧ ، ص١٦٣ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ومسند أحمد بن حنبل ، جـــ٣ ، ص١١ ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، واللؤلؤ والمرجان ، جـــ٣ ، ص١٤١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٧هـــ .

[٢٣] سنن أبي داود،كتاب الطهارة ، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت، د.ت .

[٢٤] كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى/ للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي ، ص٣٨٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٣هـــ – ٢٠٠٢م

[٢٥] السابق ص ٣٨٦ .

[٢٦] شرح النووي على صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ١٢١.

حب وشفقة وعطاء تجاههم من الرسول الكريم ، يقول عثمان رضي الله عنه : " لقد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر ، وكان يعود مرضانا ، ويتبع جنائزنا ، ويغزو معنا ، ويواسينا بالقليل والكثير".[٢٧]

هذه العلاقه الوطيدة جعلت الرسول ﷺ يتفهم نفسية صحابته – رضوان الله عليهم– تفهماً ينبئ عن مدى ملازمتهم له ، مما كان سبباً في أن ينعت الرسول الكريم ﷺ بعضهم نعوتاً لازمتهم طيلة حياتهم ،وعبرت عن أبعاد مختلفة تتصل بهم : سواء أكان علي المستوى الإيماني، كأن يقول عن الإمام علي رضي الله عنه".....يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله"[٢٨]، أو عن فاطمة رضي الله عنها بأنها ".....سيدة نساء أهل الجنة"[٢٩]، أو عن عبد الله بن عمر".....إن عبد الله رجل صالح"[٣٠] .

أم علي المستوى النفسي والأخلاقي ، كأن يقول عن سعد بن عبادة:" إنه لغيور ، وأنا أغير منه ، والله أغير مني ."[٣١]، أو عن أبي ذر : " إنك رجل ضعيف"[٣٢]، أم على المستوى الحسي والموقف العملي ، كأن يقول عن عمر رضي الله عنه: " لم أر عبقرياً من الناس يفري فريّه " [٣٣]، أو عن سعد بن معاذ : " لمناديل سعد بن معاذ خير منها وألين"،[٣٤] يعني في الجنة ، أو عن خالد بأنه"سيفٌ من سيوف الله "[٣٥]، إلي آخر تلك الأوصاف ذات الأبعاد المختلفه للصحابي ، تلك الأوصاف التي تحولت إلى أحاديث تتلى على مسامع الناس ، وعن تلك النعوت والأوصاف ذات الأبعاد المختلفة تكون السطور التالية:

****

[٢٧] مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم ٤٩٠ .

[٢٨] فتح الباري ج٧ ص٦٧٦ حديث رقم٤٢١٠ .

[٢٩] صحيح البخاري حديث رقم٣٤٢٦ ، ط دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

[٣٠] فتح الباري ج١٢ ص٥٦٥ حديث رقم٧٠١٥ ،٧٠١٦.

[٣١] شرح النووي على صحيح مسلم ج: ٢ ص١١٣٥.

[٣٢] السابق ج٦ ص٦.

[٣٣] السابق ج٤ المسألة رقم ٢٣٩٣ .

[٣٤]صحيح البخاري حديث رقم ٣٥٩١ ص١٣٨٤ .

[٣٥]السابق – كِتَاب فَضَائِلِ الصحابة – بَاب مَنَاقِبِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص ١٣٧٢حديث رقم ٣٥٤٧ .

المبحث الأول : البعد الديني والإيماني

في هذا الإطار أشير إلى أن وصف النبي ﷺ للصحابة يشكل مظاهر متعددة ، فهي أحاديث تحمل في طياتها أوصافاً – صريحة أو ضمنية – ذات أبعاد دينية وإيمانية للصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – كالحب في الله، وقوة الإيمان ، وخدمة الإسلام بالجهاد ونحوه ، بيد أنها تنبع جميعا من منبع واحد وهو نبع الإيمان :

١– عن أبي سعيد الخدري قال: خطب النبي ﷺ فقال: "إن الله خيـــر عبداً بين الدنيا وبين ما عنـــده فاختار ما عند الله ، فبكى أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ ، إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا ، قال : "يا أبا بكر ، لاتبك ، إن أمَنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لايبقينَّ في المسجد باب إلا أمَنَّ إلا باب أبي بكر" وفي رواية أخرى " إنه ليس من الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر"[٣٦]

ففي هذا الحديث الشريف يلاحظ أن أبا سعيد الخدري اتجه – في البداية – إلى الإضمار القصصي الذى يهدف إلى الوصول بأقرب طريق وأوجز لفظ ، فضلا عن قدرته الفائقة الكامنة على تخليص المعانى مما يلتبس بها مما له صلة بالغرض[٣٧] .

ويتضح ذلك في قوله: "خطب النبي ﷺ " ؛ حيث حذف من الخطبة مقدمتها، ولم يلتفت إلا إلى ماله صلة بما يريد الحديث عنه ، فقد أذهله بكاء أبى بكر عقب كلام النبي ﷺ ، وقد أسلمه ذلك إلى الحكم بذكاء أبى بكر ﷺ وحصافته :" وكان أبوبكر أعلمنا ".

ويبدو أن أبا بكر ﷺ استند في فطانته وفهمه السابق إلى رؤيته للنبي ﷺ وهوعاصب رأسه بخرقة حيث كان يخطب ، كما في رواية ابن عباس ، وهو مايفيد أنه كان في مرض الموت .

وفي قول النبي ﷺ لأبى بكر : " لاتبك " أسلوب نهي ، يفيد إشفاق النبي ﷺ علي أبى بكر ، ومدى خوفه عليه.

---

[٣٦] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١ ص٨٠٩ حديث رقم ٤٦٦، ٤٦٧ ، إن أمن الناس: قال النووي :قال العلماء معناه أكثرهم جودا لنا بنفسه وماله ، وليس هو من المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة ، وقال القرطبي: هو من الامتنان ، والمراد أن أبابكر له من الحقوق مالوكان لغيره نظيرها لامتن بها (فتح الباري ج١ ص٨١٠)

الخوخة : باب صغير قد يكون بمصراع وقد لايكون ، وإنما أصله فتح في حائط (السابق والصفحة) .

[٣٧] ينظر : ١– شرح أحاديث من صحيح البخارى ، دراسة فى سمت الكلام الأول د/ محمد أبو موسى ، ص٣٣٠ ، نشر مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣ه – ٢٠١٠م مصر. ٢– بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم د/ كاظم الظواهري ، ص٧ وما بعدها ، مصر ، ١٩٩١م / ١٤١٢هـ

وقوله:" إن أمَنَّ الناس عليّ ..... " أسلوب مؤكد بـــ [إن] يوضح دور أبي بكرالصديق –رضي الله عنه– في خدمة الإسلام ، حيث كان أكثر الصحابة جوداً بماله ؛ فلم يترك لبيته شيئاً يدخره ، وجوداً بنفسه ؛ حيث كان ثاني اثنين إذهما في الغار، وقد أتي النبي بأسلوب التفضيل "أمنّ" ، وأضافه إلي " الناس" ؛ ليوضح لنا أن أبا بكر لايقارن ولايوزن به أحد من الصحابة إلارجحت كفته ، وفي إضافة الصحبة لأبى بكر (في صحبته) ما يزيد من مكانة أبى بكر – أيضاً– في نفس الرسول ، وفي هذا مايفيد – فضلا عما سبق – قوة إيمان أبي بكر الصديق التي لا يوزن أمامها أحد من الصحابة إلا رجحت كفة أبي بكر إيمانا ، وخلقا ، وصدقا، وتصديقا، وإخلاصا في الصحبة ، ووفاءً للنبي ﷺ حتى النهاية .

وفي تكرار اسم" أبي بكر"على لسان النبي ﷺ مايعمق ويؤيد ماسبق قوله، فضلاً عن كونه يفيد مدى قربـــه من قلب النبي، وحبه له واستلـــذاذه بتكرار اسمه مما جعله يردده بين شفتيـــه كثيراً، ويزيد الأمر تأكيداً قوله – في رواية أخرى– (ابن أبي قحافة) زيـــادة على أبي بكر ، ليؤكد لنـــا على أنه هو المقصود لا أحد غيره.

ثم تأتي مسألة " الخلـــة " وهي كمال المحبة ومنتهى الحب وذروته التي ادخرها النبي –ﷺ – لمولاه – عز وجل - فبدأ بأداة الشرط " لو" التي تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط ، فهو لم يتخذ أحداًمن الناس جميعهم خليلاً ، إذ الخلة لا تحتمل الشركة ، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب ، ولو كان متخذاً من أمته خليلاً كان أبو بكر أحق بهذه الخلة، وفي ذلك ما يفيد علو مكانة أبي بكر الصديق عند الرسول ﷺ .

وقد ثبت في صحيح مسلم قوله : " إني أبرأ إلي الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله تعالي قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي وفي رواية (غير ربي) خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا .[٣٨] "

وفي رواية أخرى " ألا إني أبرأ إلي كل خل من خلته ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ، إن صاحبكم خليل الله "[٣٩]، وفي نسبة الخلة إلى أبي بكر بعد نسبتها إلى المولى – عز وجل– ما يفيد أن أبا بكر الصديق قد بلغ بإيمانه شأوا بعيدا بلغ به حد الخلة من الرسول ﷺ لولا أن الرحمن اتخذه خليلا.

وهنـــا أشير إلى أن الخلـــة هي " الخصلة إن وافقه في خصاله ، أو من الخلة :أي الحاجة ، لانقطاعه إلي ربه وقصره عن حاجته عليه ، أومن الخلة بالضم "وهي التخلل ، فإن الحب تخلل شغاف قلبه، بحيث لم يدع به خلالا إلاملأه ، لما خالَلَه من أسرار الهيبة ومكنون الغيوب والمعرفة ، لاصطفائه عن أن يطرقه نظر لغيره "[٤٠]

---

[٣٨] صحيح مسلم ج١ ص٣٧٧.

[٣٩] السابق ج٤ ص١٨٥٦ الخل : الخليل ، خلته : صداقته.

[٤٠] فيض القدير/ عبد الرؤف المناوي ، ج١ ، ص١٠٩، المكتبة التجارية الكبري ، مصر ، ط اولي .

وفي قوله : " إن صاحبكم خليل الله " مشيرا إلي نفسه ما يفيد – كما قال الراغب – من أن الخلة تنسب إلي العبد لا إلي الله تعالي ، فيقال إبراهيم خليل الله ، ولا يقال الله خليله"[٤١]

وفي استثناء الرسول لباب أبي بكر في قوله : " لايبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر " ما يؤكد مكانة أبي بكر من قلب النبي ، فضلاً عما في هذه الجملة من إيجاز خفي يشير إلى استحقاق أبي بكر للخلافة بعد النبي ﷺ والأمر بالسد في قوله (سدوا) يعد كناية عن طلبها ، " كأنه قال : لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر فإنه لا حرج عليه في طلبها".[٤٢]

وفى الحديث ما يشير إلى رسوخ قدم أبى بكر فى الإيمان وعلو منزلته ﷺ عند الرسول الكريم فى الدين .

٢- عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:" لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم : أيُّهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب؟ فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ، ودعا له فبرأ ، حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال عليٌّ : يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النّعم"[٤٣] .

في هذا الحديث يصف النبي ﷺ علياً ﷺ بثلاث صفات كريمات :

الأولى : أنه يفتح على يديه ؛ ومن ثم كان علي مفتاحاً لكل خير بداية من فتح خيبر.

والثانية : أنه يحب الله ورسوله قولاً وعملاً، إيماناً وتصديقاً.

أما الصفه الثالثة : فقد جاءت نتيجة طبعية للثانية وهي" ويحبه الله ورسوله ".

وفي البداية يتحدث النبي- ﷺ- بأسلوب التأكيد "لأعطين" فهو عطاء من النبي الذي لا ينطق عن الهوى، وما دام ذلك عطاءً منه ففيه الخير والنعمة؛ ومن ثم لم يقل(لآمرن بإعطاء الراية) وما أشبه ذلك، وهو عطاء مقصود لذاته ، مخصص من الرسول الكريم لشخص علق في ضميره ، وهو[عليّ]، ولم يتلفظ الرسول باسمه من أول وهلة لأشياء عدة : منها: حث الصحابة – رضوان الله عليهم- على حب الله ورسوله، وبيان أن هذا الأمر هو أسمى ألوان العقيدة ، يقول الله تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[٤٤] ، ويقول الرسول الكريم : "لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين".[٤٥] ومنها : إعلام الصحابة أن فيهم من بلغ الشرف الأسمى والمنزلة العليا، ومنها : حث الصحابة

---

[٤١] ينظر السابق والصفحة .

[٤٢] فتح الباري ج٧ ص٢٠،٢١.

[٤٣] فتح الباري ج٧ ص٦٧٦ حديث رقم٤٢١٠ ، ومعنى يدوكون : أى باتوا فى اختلاف واختلاط .

[٤٤] سورة آل عمران آية (٣١)

[٤٥] صحيح البخاري ، كتاب الإيمان، مسألة رقم ١٤

على التباري والتسابق في طلب هذه العطية والمنحة السماوية المتمثلة في هذاالشيء الحسي (الراية) أو الإمارة يومئذ ، حتى إن جميع الصحابة أتوا في شوق ولهفة كلهم يرجو أن يعطاها ؛ ومن ثم ورد أن عمر بن الخطاب قال معلقاً على قول الرسول : "ما أحببت الإمـــارة إلا يومئذ" [٤٦]

وفي قول الرسول ﷺ: " يفتح الله على يديه "مايوحي بثقـــته في كفاءة عليّ القتالية ، وفي مدى شجاعته وإصراره على النصر، يقول الرواة :" إن علياً خرج براية الرسول ﷺ يصول ويهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركـــز رايته في رضم من حجارة (أي صخور عظام) تحت الحصن ، فاطلع يهودي من رأس الحصن ، فقال : من أنت؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ، فقال اليهودي : غلبتم وما أنزل على موسى ، فما رجع حتى فتح الله على يدية"[٤٧]

وفي قول الرسول ﷺ "يحب الله ورسوله " مايوحي بقوة إيمان علي بن أبي طالب ، وإخـــلاصه في حب الله ورسوله حباً ملك عليه أقطاره ، استحالت نتيجته قبول ذلك الحب، ليس هذا فحسب ، بل وإبداله به حباً يجعله في مصاف أولياء الله ، وأصفياء رسول الله ﷺ الذي قال له :" أنت مني وأنا منك"[٤٨] .

٣- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ " أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة ، وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم"[٤٩].

ففي هذا الحديث يصف الرسول ﷺ الذين جاءوا من اليمن بكمال الإيمان ، وقوله :" أهل اليمن" يفيد أن الذين جاءوا هم أهل البلد ، وليس من ينسب إليها وهو من غير أهلها، ولعلهم هم الصالحون منهم ، حيث وصفهم برقة القلب ونقائه وحسن الطاعة ، :"هم أرق أفئدة ، وألين قلوباً....." وفي العطف بين الفؤاد والقلب ما يفيد المغايرة ، ولذا لم يقل ﷺ "هم أرق قلوباً وألين أفئدة "، أو "هم ألين قلوباً وأرق أفئدة" ومن ثم كان الفؤاد غشاءً للقلب ،كما يقول الخطابي[٥٠] ، أمـــا العلاقـــة بين رقة الفؤاد ولين القلب فهي أن الفؤاد " إذا رق نفذ القول وخلص إلى ما وراءه ، وإذا غلظ بعُد وصوله إلى الداخل ، وإذا كان القلب ليناً علق كل ما يصادفه " .[٥١]

ورقة الفؤاد ولين القلب ينبئان عن صفاء السريرة ونقاء الفطرة ، وهذا مقام من مقامات الحب في الله والإخلاص له ، ولعل في هذا كله ما يفيد أن أهل اليمن في هذا الحديث أكثر إيمانا ، وحبا لله عز وجل وللرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم وصفهم النبي بقوله " الإيمان يمان " وكأن الإيمان لا ينسب إلا إلى أهل اليمن ، بسبب تواضعهم الجم ، وصفاء سرائرهم جميعا ، ويلاحظ أن الوصف في هذا الحديث قام على إبراز السمات العامة الكاشفة عن طبيعة وشيم أهل اليمن جميعا ، أو الصالحين منهم .

---

[٤٦] فتح الباري ج٧ ص٦٧

[٤٧] البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص١٨٦ مكتبة المعارف ، بيروت .

[٤٨] فتح الباري ج٧ ص٩٨ .

[٤٩] فتح الباري ج٧ ص٨٧٧ حديث رقم ٤٣٨٨ .

[٥٠] ينظر السابق والصفحة .

[٥١] السابق والصفحة .

٤- عن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – أنه قال: " استأذن عمربن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه ، عاليةً أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ، ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر: أضحك الله سِنّك يارسول الله، فقال النبي ﷺ : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، فقال عمر : فأنت أحق أن يَهَبْن يا رسول الله ، ثم قـــال عمر : يا عدواتِ أنفسهن ، أتَهَبْنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ فقلن: نعم ، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال الرسول ﷺ : إيهاً يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجّاً غير فجك [٥٢] "

في هذا الحديث يوضح النبي ﷺ ما يتصف به عمر – رضي الله عنه– من قوة في الإيمان تتضاءل أمامها قوى أخرى غير مكافئة لها ، تخر وتصرع إن ثبتت أمامها ، ومن ثم لا تجد للشيطان سبيلاً على عمر ، بل إن الشيطان بجبروته وطواغيته إن رأى الفاروق يسير في طريق ، فزع وفر وسلك طريقاً غيرالذي يسلكه .

ويلاحظ أن النبي ﷺ اختزل قوة إيمان عمر في هذا الوصف الحقيقي الموجز الذي طبق المفصل وأصاب المحز ، وقد بدأ النبي ﷺ بالقسم الذي يدل دلالة مؤكدة على ما يقول (والذي نفسي بيده) ، ثم التعبير بأسلوب الاستثناء الذي يفيد القصر والتأكيد على دلالات القوة الإيمانية – فضلاًعن الجسدية – التي تمتع بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفي التعبير بالفعل الماضي" لقى " ما يدل على أن رؤية الشيطان لعمر أمر حتمي وواقع مراراً ، بدليل كلمة " سالكـــاً " على صيغة اسم الفاعل التي تفيد كثرة سير عمر في سبيل الله مع كثرة هذه الطرق التي يسلكها ، وهي ليست بالطرق الوعرة الخفية التي يسلكها الخائفون على أنفسهم من رؤية القوم المخالفين لعقيدتهم ، بل هي الطرق الفجاج الـــواسعة السهلة المنبسطة المعلومة التي يسلكها الناس جميعاً ، دليلاً على شجاعته وعدم جبنه وصلابته في الدين واستمراره على هذه الحالة من السير في طريق الحق ، وهي حالة دائمة غير منقطعة ، بدليل كلمة " قـــط " التي تفيد تأكيد النفي في الحديث .

٥- عن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال : قال رسول الله ﷺ :"لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون[٥٣]، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر "[٥٤].

---

[٥٢] صحيح البخـــاري ج٣ ص١٣٤٧ وفتح الباري ج٧ ص٥٨ حديث رقم ٣٦٨٣ . ومسند أبي يعلي ج٢ ص١٣٢ تحقيق/ حسين سليم أسد دار المأمون للتراث ، دمشق الطبعة الأولى ١٩٨٤-١٤٠٤ ، أهّبني: من الهيبة أى توقرني ، وكأنه طلب توقيره ﷺ وتعظيم جانبه (فتح الباري ج٧ ص٦٧) ، إيهاً بالكسر والتنوين معناها : حدثنا ما شئت .

[٥٣] محدَّثون جمع محدث ، وهو الملهم بالصواب الذي يلقى على فيه ، أو الرجل الصادق الظن ، وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى ، فيكون كالذي حدثه غيره به ، وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد ، وقيل مكلّم ، أي تكلمه الملائكة بدون نبوة .

[٥٤] فتح الباري ج٧ ص٦٠ حديث رقم ٣٦٨٩ .

ففي هذا الحديث وصف النبي ﷺ عمربن الخطاب ﷺ بصفة قلما وجدت في أمة من الأمم ، وهي صفة الإلهام بالحق والتوفيق للصواب ، أو صدق الظن والفهم والإصابة بغير نبوءة، وهذا دليل على صفاء القلب ونقاء الفطرة ، فضلاً عن كمال الإيمان الذي شهد له به رسول الله ﷺ حين " عرض عليه عمر وعليه قميص اجتره ، قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين " .[٥٥]

وقد بدأ النبي ﷺ كلامه بأسلوب التأكيد الذي طريقه اللام ، و[قد] التي تفيد التحقيق ، ثم الفعل الماضي [كان] الذي يدل على وقوع الحدث بلا شك.

وفي قوله " فيما قبلكم"دلالة على أن هذه الأمة ليست بدعاً من الأمم السابقة ، وأن هذا الأمر إن كان قد وقع في بني إسرائيل فقد كانوا في حاجة ماسة إلى وقوعه ،"حيث لا يكون حينئذ فيهم نبي "[٥٦]، وحيث إن هذه الأمة لا تحتاج إلى ذلك لوجود القرآن ، فإن وجودهم بعد نزول القرآن زيادة في شرف هذه الأمة .[٥٧]

وإفراد عمربن الخطاب دون غيره بهذه الصفة ، دليل على بلوغ الإيمان في نفس عمر مبلغا كبيرا ، حيث استعمل أسلوب الشرط الذي أداته" إن " وهي تفيد الشك ،كدليل على أن هذا الأمر نادر وقوعه في أمة محمد ﷺ ؛ بسبب نزول القرآن الذي قال: " اليوم أكملت لكم دينكم "[٥٨]، وهو وإن وقع فلا يتصف به إلا عمر ، أو مَن شأنه شأن عمر ﷺ ، ويبدو أن السبب في تخصيص النبي لعمر ابن الخطاب بالذكر راجع " لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها ، ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات"[٥٩] ، وكأنه لم يكن هناك مثل عمر ، كدليل على أن الصحابة – رضوان الله عليهم – لكل واحد منهم في صدر الإسلام بصمته الخاصة ودوره الفعال في خدمة الإسلام والدعوة الإسلامية .

٦- عن ابن عمر ﴿رضي الله عنهما﴾ قال: رأيت في المنام كأن في يدي سَرَقَة من حرير لا أهوى بها إلى مكان في الجنة إلا طارت بى إليه ، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: "إن أخاكِ رجل صالح ، أو قال : إن عبد الله رجل صالح ".[٦٠]

يلاحظ أن النبي ﷺ وصف عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما- بالصلاح ، مؤكداً كلامه بـ (إن) كدليل على تقواه وورعه ، وحب الرسول ﷺ له ، وينجلي حبه له حين نصحه – في رواية أخرى – فقال : " لو كان يصلي من الليل"، وكان عبد الله كثير الرقاد، قال الزهري : " وكان عبد الله بعد ذلك

---

[٥٥] ينظر السابق ج٧ ص٦١ حديث رقم ٣٦٩١.

[٥٦] ينظر السابق ج٧.

[٥٧] ينظر السابق ج٧ ص٧٢.

[٥٨] سورة المائده آيه رقم (٣).

[٥٩] فتح الباري ج٧ ص٧٢

[٦٠] سرقة من حرير : قطعة من استبرق كما في رواية ، لا أهوى : لا أميل ، فتح الباري ج١٢ ص٥٦٥ حديث رقم ٧٠١٥ ، ٧٠١٦

يكثر الصلاة من الليل "،[٦١] كما يلاحظ أن وصف النبي ﷺ لعبد الله يعد نتيجة نهائية ، وبرهانا واضحا لما لمسه في عبد الله من تقوى وإيمان وصلاح، ومن ثم جاء النصح في الرواية الأخرى ؛ دليلاً على أن وصف الرسول ﷺ للصحابة يأتي من جانبين : الأول : اكتمال أوصاف الشخصية كما يراها النبي ﷺ في الصحابي ، الثـــاني : أن الوصف من النبي للصحابي يكون بالنتيجة ، وليس بالسبب .

٧- عن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن أم كلثوم بنت النبي ﷺ أنها قالت:يا رسول الله ! زوجي خير أو زوج فـــاطمة ؟ قالت : فسكت النبي ﷺ ثم قال :زوجك ممن يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فولت ، فقال لها : هلمي! ماذا قلت ؟ قالت:قلت: زوجي ممن يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال : نعم ، وأزيدك : دخلت الجنة فرأيت منزله ، ولم أر أحداً من أصحابي يعلوه في منـــزله ".[٦٢]

ففي هذا الحديث نرى رسول الله ﷺ يصف عثمان بصفتين :

الأولى: أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، الثانية :أنه أعلى الصحابة منزلاً في الجنة ، وفي هذا الحديث بعض الومضات التي تستحق الوقوف عليها ، فقوله ﷺ :" زوجك ممن يحب الله ورسوله....." لم تكن هذه الصفة وقفاً على عثمان ﷺ فقط ، فقد اتصف بها علي أيضا ، بل وقد يتصف بها جل الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- فالموصول الحرفي (من) في الحديث يفيد العموم مع التشريف ، فجميع الصحابة الأطهار يحبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسوله .

ولم يقف النبي ﷺ عند هذا الحد ، بل خلع صفة أخرى على عثمان ، زادته رفعة ، وهي شرف المنزلة في الجنة : " ولم أر أحداً يعلوه في منزله"، وفي هذا دليل على أن عثمان- رضي الله عنه- استحق من الرسول الحب العظيم حتى زوجّه من ابنته أم كلثوم بعد موت أختها رقية ، كما استحق الحب الأعظم من المولى عز وجل ، حيث أعطاه منزلاً لا يعلوه منزلٌ آخر من منازل الصحابة رضوان الله عليهم ؛ لكمال إيمانه ،وعظيم حيائه ،وجليل ما قدمه للإسلام من خدمات نادرة منها: تجهيز جيش العسرة، وحفر بئر رومة ، يقول أبو سعيد الخدري " رأيت النبي ﷺ رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول : يارب عثمان إني رضيت عن عثمان فارض عنه ،فما زال يدعو حتى طلع الفجر ، فنزلت : الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى ....الآية ".[٦٣]

****

[٦١] فتح الباري ج٢ ص٧.

[٦٢] المستدرك على الصحيحين /محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا ج٤ ص٥٤ ط دار الكتب العلميه، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م

[٦٣] تفسير القرطبي ج٣ ص٣٠٦ ط دار الكتب المصرية ، الآية رقم ٢٦٢ ، سورة البقرة .

المبحث الثاني: البعد النفسي والخلقي:

يشكّل هذا الإطار – في وصف النبي ﷺ لصحابته– صورًا مختلفة حملتها أحاديثه ، هذه الأحاديث تحمل وصفا ذا أبعاد ودلالات نفسية وخلقية للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وليس المقصود – هنا – الحديث عن منزلة الصحابي من نفس الرسول ﷺ فحسب ،وهاك أمثلة توضح ما أقول :

١– عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: "بينما نحن عند رسول الله –ﷺ– جلوس فقال رسول الله ﷺ : بينما أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : هذا لعمر، فذكرت غَيرتك ، فوليت مدبرا ،فبكى عمر وهو في المجلس ، ثم قال أوعليك يا رسول الله أغار؟! ".[٦٤]

يشير الحديث إلى أن رسول الله ﷺ رأى فيما يرى النائم – ورؤيا الأنبياء حق كاليقظة – أنه في الجنة ، وإذا امرأة من الحور تتوضأ إلى جانب قصر من ذهب (كما في رواية أخرى) فسأل ﷺ الملائكة ، فأجابوه أنه لعمربن الخطاب ، فأدرك رسول الله ﷺ على الفور – بثاقب ذهنه – ما يتسم به عمر ﷺ من صفة أخلاقية تدل على كمال الرجولة ، ألا وهي صفة الغيرة المحمودة ، يقول الإمام النووي: " الغيرة بفتح الغين وأصلها المنع ، والرجل غيور على أهله ، أي يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر أو حديث ، أوغيره ، والغيرة صفة كمال"[٦٥] ، وفي إضافة الغيرة إلى عمر ﷺ مايوحي بخصوصيتها ، وكأنها غيرة اختص بها عمر دون غيره من الناس .

وفي استخدام حرف الفاء في قول الرسول ﷺ : (فقلت ، فذكرت ، فوليت) ما يفيد التتابع، وفي قوله : (فوليت مدبراً) مايفيد الإسراع بمجرد علمه بملكية عمر لهذا القصر ، حيث إنه يعلم أن عمر شديد الغيرة ، وفي هذا مايوحي بمنتهى التأدب والتلطف من الرسول ﷺ مع صحابته الكرام ،فضلا عما يفيده التعبير من تقرير الرسول ﷺ لهذه الصفة (الغيـــرة) ورغبته في أن تبقى ، ولا تـــزول بين الأمة المحمدية ، وتقديره لها حق قدرها ، فلا يقـــدر هذه الصفة إلا من اتصف بها ، وقدكان ﷺ أشد الناس غيـــرة ، ففي حديث سعد ابن عبادة :"وأنا أغيرمنه ".[٦٦]

وفي قول أبي هريرة (فبكى عمر) مايوحي برقة قلب عمر ﷺ– في الإسلام ، ومعلوم أن الإسلام عالج عمر ابن الخطاب علاجا نفسيا وأخـــلاقيا ، ففي حديث ابن عمر " أن رسول الله ضرب بيده على صدر عمر وقال : اللهم أخرج مافي صدر عمر من غل وداء ، وأبدله إيمانا – ثلاثا "[٦٧] ؛ ومن ثم كان بكاؤه خشوعا وفرحا بعطاء الله الخاص به .

---

[٦٤] صحيح البخاري، كتاب النكاح ،٤٩٢٩.

[٦٥] شرح النووي على صحيح مسلم ج٥ص٢٦٨.

[٦٦] صحيح مسلم ج٢ ، ص١١١٥.

[٦٧] المستدرك على الصحيحين ، ج ٣ ، ص٩١.

****

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال" قال سعد بن عبادة – رضي الله عنه – : يا رسول الله لو وجدت مع أهلي رجلاً لم أمسه حتى آتى بأربعة شهداء ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم . قال : كلا، والذي بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك ، قال رسول الله ﷺ : اسمعوا إلى ما يقول سيدكم ، إنه لغيور ، وأنا أغير منه ، والله أغير مني ."[٦٨]

في هذا الحديث الشريف يثبت الرسول الكريم ﷺ صفة ذات بعد نفسي لسيد الخزرج سعد بن عبادة ، ألا وهي صفة الغيرة (إنه لغيور) بصيغة المبالغة على وزن (فعول) أي شديد الغيرة على حريمه وأهل بيته ، وهذه صفة محمودة في الرجل الحق ، ومن ثم أردف الرسول ﷺ قوله (وأنا أغير منه) أي أشد منه غيرة على أهل بيتي ، بل وعلى الأمة الإسلامية جمعاء ، ثم عقب بقوله (والله أغير مني) وغيرة الله تعالى يفسرها حديث الرسول ﷺ :" إن الله تعالى يغار ،والمؤمن يغار ، وغيرة الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه "[٦٩]، وتدل سيرة سعد بن عبادة – رضي الله عنه – على أنه كان شديدا في الحق، لايعرف المداراة ، ومن ثم كان قوله :" كلا والذي بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك" يشبه الاعتراض ، فكان رده ﷺ يحمل كثيرا من الإشارات الإيحائية ، أولها: حسن التلطف في الحديث مع أصحابه وإعطاء كل ذي قدر قدره " اسمعوا إلى ما يقول سيدكم " ، فقد كان سعد بن عبادة سيدا في قومه، ومن ثم أراد ﷺ استمالته دون أن يوافقه على قوله، ثانيها: إن في قوله ﷺ :"إنه لغيور ،وأنا أغير منه ، والله أغير مني " ما يفيد أنه لم يوافقه ، ولم ينكر عليه ، وهذا يحتمل معنيين – ذكرهما ابن تيمية – أحدهما : إقراره وسكوته على ما حلف عليه سعد أنه جائز له فيما بينه وبين الله، ونهيه عن قتله في ظاهر الشرع ، ولا يناقض أول الحديث آخره ، ثانيهما : أن رسول الله ﷺ قال ذلك كالمنكر على سعد:" ألا تسمعون ما يقول سيدكم " يعني أنه نهاه عن قتله ، وقد يريد رسول الله ﷺ كلا الأمرين ، وهو الأليق بكلامه ، وسياق القصة .[٧٠]

****

٣- عن أبي ذر رضي الله عنه قال، قلت : ((يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي – تحبباً، وترفقاً ، وتلطفاً – ثم قال: يا أبا ذر ، إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها))[٧١].

---

[٦٨] صحيح مسلم ج: ٢ ص ١١٣٥ .

[٦٩] صحيح البخاري حديث رقم ٥٢٢٣ .

[٧٠] ينظر : زاد المعاد في هدي خير العباد ج٥ ص٣٦٥ .

[٧١] صحيح مسلم ج٦ ص٦ ، معنى الاستعمال هنا أن يجعله عاملاً ، والياً ، حاكماً .

في وصف الرسول ﷺ لأبي ذر ﷺ بالضعف مايوحي بمدى حبه ﷺ لأبي ذر، بدليل قوله له في رواية أخرى : " وإني أحب لك ما أحب لنفسي " وقوله عنه في رواية أخرى :" ما أظلَّت الخضراء، ولا أقلَّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر" ، كدليل على مدى صدقه مع نفسه ، وقوة إيمانه ، ومدى التزامه ، وتجرده عن الدنيـــا، فهو أحد الصحابة المشهورين بالزهد، يقول عنه الإمام الذهبي :" وقيل : كان آدم ضخما جسيما ، كث اللحية ، وكان رأسا في الزهد ، والصدق ، والعلم والعمل ، قوالا بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، على حدة فيه "[٧٢]، فأبو ذر – إذاً – كان قوي البدن ، شجاعا ، ولم يكن ضعيفا خوارا ، ومن ثم كان الوصف الخاص به من النبي يوحي بضعف داخلي يعلمه عنه رسول الله ﷺ ، ويبدو أنـــه ضعف الرأي في وقت ما ، يقول الذهبي : " فهذا محمول على ضعف الرأي ؛ فإنه لو ولي مال يتيم ، لأنفقه كله في سبيل الخير ،ولترك اليتيم فقيرا ! فقد ذكرنا أنه كان لا يستجيز ادخار النقدين ، والذي يتأمر على الناس ، يريد أن يكون فيه حلم ومداراة ، وأبو ذر رضي الله عنه كانت فيه حدة فنصحه النبي صلى الله عليه وسلم . "[٧٣]

****

٤– عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال :" لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا ، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم ، فقال: يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أَمَنُّ ، قال : ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ ؟ قال :كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن ، قال : لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصارشعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض " [٧٤]

قبل معايشة الحديث أشير إلى أن غزوة حنين وقعت في العاشر من شوال في السنة الثامنة للهجرة ، بين المسلمين وقبيلتي هوازن وثقيف ، في وادٍ يعرف باسم (حنيـــن) بين مكة والطائف .[٧٥]

وراوي الحديث هو عبد الله بن زيد بن عاصم ، الأنصاري المازني ،من بني النجار، ويعرف بابن أم عمارة ، وهو أخو خبيب بن زيد الذي قتله مسيلمة الكذاب ، وهو ثاني اثنين اشتركا في قتل مسيلمة ، حيث

---

[٧٢] سير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٦ط مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

[٧٣] السابق ج٢ ص٧٦ .

[٧٤] صحيح البخاري ، كتاب المغازي حديث رقم ٤٠٧٥ .

[٧٥] ينظر تاريخ الطبري ح٣ ص٦٩ .

ضربه بالسيف فقتله ، بعد أن رماه وحشي بن حرب بحربته[٧٦] ، ومن ثم فهو أنصاري ، يعرف نفسية الأنصار وما هم عليه ، ولذا فهِم نفسية الصحابة من الأنصار حين قال :" فكأنهم وجدوا....." وما أجمل استخدامه لأداة التشبيه (كأن) حيث إن الأمر لا يعدو كونه شعورا داخليا فقط .

ويلاحظ في بداية الحديث أن رسول الله ﷺ أطلع الأنصار على حقيقة مهمة حين وصفهم بكلمة (ضلالا) في قوله : " ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟! " وبكلمة (متفرقين) في قوله: "وكنتم متفرقين فألفكم الله بي" وبكلمة (عالة) في قوله : "وعالة فأغناكم الله بي "، وهذا يدل على عظيم ذكاء الرسول ﷺ حيث جمع شتات الأمر في تلك الأوصاف الثلاثة وأضدادها ، مستخدماً أسلوب الطباق الذي يبرز المعنى المقصود ويوضحه في ذهن المستمع ، وكأن هذه الحقائق كانت غائبة عن الأنصار، فأحب رسول الله ﷺ أن يبرزها واضحة ماثلة للعيان ،مبينا لهم ما أفاء الله عليهم به ، فالضلال يحتاج إلى الهداية ، والتفرق يحتاج إلى التآلف والوحدة ، والفقر أوالعيلة يحتاج إلى الغنى .

وقد بدأ الرسول ﷺ بأشد الصفات وأقواها في نفس الإنسان ، فإذا ما أصيب الإنسان بالضلال وقع في التيه والتخبط والظلمات ، فيصير كالأعمى لايرى حتى نفسه ، فينشأ التفرق والضعف ، وقد يؤدي ذلك إلى الفقر والعيلة ؛ ومن ثم كان الضلال – والعياذ بالله – هو الشيء الوحيد الذي يودي بالشخص إلى الهلاك .

ولذ احتاج الضلال إلى الهداية أو الإسلام الذي وحد كلمتهم وقلوبهم (فهداكم الله بي) ، فصاروا جميعا على قلب رجل واحد (فألفكم الله بي)، ودان لهم الجميع بالفضل ، وأغناهم الله من فضله (فأغناكم الله بي)، ولم يحدث هذا كله خبط عشواء ، بـــل بسبب وجـــود الرسول محمد ﷺ بينهم ، وهي حقائق واضحة لا تحتاج إلى دليل ، بل تحتاج إلى تقرير ، ومن ثم كان الاستفهام التقريري .

وفي قوله عن الأنصار : " الأنصار شعار والناس دثار" ما يدل على قربهم الشديد من قلبه ، حيث إن الشعار هو الثوب الذي يلي الجسد ، والدثـــار فوقه ؛ ومن ثم كـــان هذا القول بمثابة التأكيد لقوله السابق: " لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار" الذي يدل على حبه الشديد لهم الذي ظهر في أحاديث كثيرة ،[٧٧] ومنه هذا الحديث الذي يدعم ما ذكرناه آنفا:عن أنس– رضي الله عنه– قال: " رأى النبي صلى الله وسلم النساء والصبيان مقبلين قال : حسبت أنه قال من عرس فقام النبي ﷺ مُمْثِلاً فقال : اللهم أنتم من

---

[٧٦] ينظر : أسد الغابـــة لابن الأثير ، ج٢ ص١١٣، دار المعرفة للنشر ، بيروت ١٩٩٧م ، والإصابة في معرفة الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، ج٢ ص١٢٩، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م .

[٧٧] ينظر صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصارأحاديث أرقام ٣٥٦٧ ، ٣٥٦٨ ، ٣٥٦٩ ، ٣٥٧٠ ، ٣٥٧١ ، ٣٥٧٢ ، ٣٥٧٣ ، ٣٥٧٥ ، ٣٥٧٦ ، ٣٥٧٧ .

أحب الناس إليَ ، قالها ثلاث مرار"،[٧٨]ولعل من نافلة القول الإشارة إلى أن الوصف في الحديث السابق يقوم علي إبراز السمات العامة الكاشفة عن طبيعة الأنصار .

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ "[٧٩]

في هذا الحديث وصف الرسول ﷺ أبا هريرة بالحرص على الحديث ، حيث كان أحرص الصحابة على تلقي العلم من الرسول ﷺ وحفظ أحاديثه ، حتى صار هذا الحرص صفة تمكنت من نفسه ﷺ حتى قال عنه الرسول ﷺ :"أبو هريرة وعاء من العلم"[٨٠] ، ولم يأت هذا الحرص والحفظ لحديث الرسول ﷺ إلا نتيجة لدعائه له في قوله ﷺ :"من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه فلن ينسى شيئا سمعه مني"[٨١] ويعلق أبو هريرة قائلا : "فو الذي بعثه بالحق ما نسيت شيئا سمعته منه"[٨٢] ، ولا يخفى على كل ذي لب ما في الحديث من صدق ظن الرسول ﷺ في أبي هريرة : " لقد ظننت يا أبا هريرة...." فما ينطق عن الهوى ، فالظن هنا بمعنى اليقين ، وكأن صفة الحرص على الحديث الشريف باتت متمكنة من أبي هريرة لا تبرحه أبدا ، ولذا جاء الظن والتيقن بسؤال أبي هريرة قبل غيره هذا السؤال ،كأنه نتيجة حتمية لصفة الحرص على الحديث المتمكنة منه رضي الله عنه .

٦- يروى أن النبيﷺ قال لأهل نجران حين وفدوا عليه قائلين له: ابعث لنا رجلا أمينا، فقال ﷺ: " لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين ، فاستشرف له الناس ، فبعث أبا عبيدة بن الجراح " .[٨٣]

وقوله ﷺ " أمينا حق أمين " هو من إضافة الصفة إلى الموصوف، فلم يكن أبو عبيدة عند رسول الله أمينا فقط، بل كان حق أمين ، وكأنه له مزية على غيره من الصحابة ، وإن كانوا جميعا يشتركون في هذه الصفة.

يؤكد هذا مارواه الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: "أرحمُ أُمَّتي بِأُمَّتي : أبو بكرٍ ، وأَشَدُّهُمْ في أَمْرِ اللهِ : عمرُ ، وأَصْدَقُهُمْ حَياءً :عثمانُ ، وأَقْرَؤُهُمْ لِكتابِ اللهِ : أُبَيُّ بْنُ كعبٍ ، وأَفْرَضُهُمْ : زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وأعلمُهُمْ بِالحَلالِ والحَرَامِ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، ألا وإِنَّ لِكلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وإِنَّ أَمِينَ

---

[٧٨] السابق حديث رقم ٣٥٧٤

[٧٩] صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث رقم ٩٩

[٨٠] المستدرك على الصحيحين / للحاكم النيسابوري ، مسألة ٢٥١٦ ، حديث رقم٦٢١٥ ، ط دار المعرفة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

[٨١] صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث رقم ٦٩٢١.

[٨٢] السابق والحديث .

[٨٣] صحيح البخاري حديث رقم ٤٣٨١ .

هذه الأُمَّةِ : أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ"[٨٤]، حيث وصف –صلى الله عليه وسلم– كل صحابي بصفة بارزة في شخصيته لا يوجد مثلها عند الآخر ، ذلك أنـــه ﷺ عليم بأحوال أصحابه ، خبير بنفوسهم .

المبحث الثالث : البعد الحسي والموقف العملي

يبرهن هذا المبحث على وجود أحاديث تدل دلالة قاطعة على الفهم الواعي والإدراك الثاقب لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – من خلال منحه بعض الأوصاف الحسية لبعض الصحـــابة الكرام في مواقف متباينة ، مع ما تحمله من دلالات قد تعالج موقفا ما ، أو توضح حقائق غامضة ، دون الاعتماد على حسية التصوير فحسب ، وهو ما سيتضح من خلال الأحاديث التالية :

١– عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَجْنِي لَهُمْ نَخْلَةً ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهِ . قَالَ : فَضَحِكُوا مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَتَضْحَكُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ " .[٨٥]

في وصف النبي ﷺ لساقي ابن مسعود ﷺ بأنهما " أثقل في الميزان من جبـــل أحد " فيه عدة ملاحظات منها : أولا– أن النبي ﷺ أراد أن يلقن الصحـــابة درسا في الأخلاق مفاده قوله في حديث آخر: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ "[٨٦] ، ثانيا– أراد النبي ﷺ من خلال قوله هذا– أن يبني الثقة في نفوس الصحابة ، عن طريق سد مداخل الشيطان التي قد تعطل مسيرة البعض نحو كمال الإيمان ، ثالثا – أعطى النبي ﷺ بهذا الحديث درسا في التربية من خلال التلميح ، حيث ألمح للصحابة بعدم سخرية بعضهم من بعض ، وهناك بعض المواقف الأخرى التي تحتاج إلى التصريح المباشر ، كما في قوله لأبي ذر – حين عير أحدهم بأمه – : " يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ، إنك امرؤ فيك جاهلية"[٨٧]

ولا يخفى على القارئ الحصيف ما في الحديث من أساليب بلاغية تحمل إيحاءات شتى ، كالاستفهام الذي يفيد الاستنكار " أتضحكون من دقة ساقيه ؟ "وكأنه يريد أن يغير مفاهيم جاهلية قديمة ما زالت موجودة عند بعض الصحابة، وفي استخدام أسلوب التوكيد بالقسم واللام واسمية الجملة في قوله : "والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان ..." مايوحي بأن الأمر ليس بالهين – أعني ضحكهم من دقة ساقي ابن مسعود – كما يوحي بأن العبرة في الآخرة بكثرة الأعمال الصالحة التي تثقل الميزان يوم القيامة ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٨٨]

---

[٨٤] سنن الترمذي ص٣٧٩١.

[٨٥] مسند أحمد بن حنبل ٣٨٥٩ ، وصحيح ابن حبان ٧٢٢٦،تحقيق / شعيب الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ،١٤١٤هـ ١٩٩٣م ، ومسند أبي داوود ٣٥٠ .

[٨٦] صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب البر والصلة والآداب ، حديث رقم ٢٥٦٤.

[٨٧] صحيح البخاري ، باب الإيمان حديث رقم ٣٠.

[٨٨] سورة المؤمنون آية رقم١٠٢.

وفي استخدام اسم التفضيل (أثقل) ما يوحي بصلاح أعمال ابن مسعود ، ووصوله درجة كبرى بهاتين الساقين اللتين جاهدتا في سبيل الله ،واغبرتا في طريق التوحيد والهداية ، حتى صار وزنهما أثقل من جبل أحد يوم الحساب .

٢- روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: ((قال رسول الله ﷺ لأزواجه : أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً، قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا ، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة، قالت: وكانت زينب امرأة صَنَاع اليد ، فكانت تدبغ ، وتخرز ، وتتصدق ، في سبيل الله عز وجل))[٨٩] .

في هذا الحديث يصف النبي ﷺ إحدى زوجاته بصفة حقيقية [أطولكن يدا]- على سبيل الكناية أو المجازالمرسل – فطول اليد قديكون كناية عن صفة الجود والعطاء ، أويكون مجازا مرسلا علاقته السببية ، فاليد سبب في العطاء ، فأطلق اليد وأراد الصدقة والعطاء.

والدليـــل على أن في قـــول الرسول ﷺ مجـــازاً هو أن طول اليد الجارحة علامة على طول صاحبها ، وفي الحديث السابق ما يفيد أن السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها- التي توفيت بعد رسول الله ﷺ – لم تكن أطول نساء النبي ، فدل ذلك على أن المقصود من قول الرسول السابق هو البعد المجازي لا الحسي .

٣- رُوي عن عمر «أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: يَا عُمَرُ إِنَّك رَجُلٌ قَوِيٌّ لَا تُزَاحِمْ عَلَى الْحَجَرِ فَتُؤْذِي الضَّعِيفَ ، إِنْ وَجَدتَ خَلْوَةً فَاسْتَلِمْهُ وَإِلَّا فَاسْتَقْبِلْهُ ،فَهَلِّلْ وَكَبِّرْ»[٩٠]

يصف النبي ﷺ عمر بن الخطاب وصفا حسيا بقوله: " إِنَّك رَجُلٌ قَوِيٌّ " مما يوحي بأن عمر–رضي الله عنه- كان قوي البدن قوة قد تؤذي الذين يطوفون ويريدون استلام الحجر الأسود ، ومن ثم كان النهي .

و قدكان عمر بن الخطاب – كما وصفه الواصفون – طويلاً جسيماً أصلع شديد الحمرة أعسر آدم ، قد فرع الناس كأنه على دابة.[٩١]

و قول الرسول ﷺ لعمر :" فتؤذي" واقع في جواب النهي " لا تزاحم "وكأنه تفسير وسبب للنهي .

ومن الأحاديث الخاصة بعمر – في هذا الإطار- قوله ﷺ : " أُريت كأني أنزع بدلو بكرة على قليب ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين ، فنزع نزعاً ضعيفاً ، والله تبارك وتعالى يغفر له، ثم جاء عمر فاستقى ، فاستحالت غرباً ، فلم أر عبقريّاً يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن "[٩٢] ، فهو يملك من المقدرة ما يمكنه من إجادة العمل .

٤- عَنْ أَنَسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ فَقَالَ أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ – وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ– حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ "[٩٣]

---

[٨٩] المستدرك ج٤ حديث رقم ٦٧٧٦.

[٩٠] مسند أحمد بن حنبل حديث رقم ١٩٢تحقيق / شعيب الأرناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة .

[٩١] ينظرالإصابة لابن حجر ج٤ ص ٥٨٩.

[٩٢] شرح النووي على صحيح مسلم ج٤ المسألة رقم ٢٣٩٣ ، حديث رقم ٤٤١٤ ، وسيأتي الكلام عن هذا الحديث فيما سيأتي من صفحات .

[٩٣]صحيح البخاري – كِتَاب فَضَائِلِ الصحابة – بَاب مَنَاقِبِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص ١٣٧٢حديث رقم ٣٥٤٧.

ففي هذا الحديث يصف الرسول ﷺ خالد بن الوليد – رضي الله عنه – بالقوة والشجاعة ، معتمداً على التشبيه البليغ المحذوف الوجه والأداة "سيف من سيوف الله" فكونه سيفاً يفيد القوة ، وفي إسناد السيف إلى الله يوحي بأن تلك القوة محفوفة بالعناية الإلهية التي جعلها الله في يد خالد بن الوليد ، إذن فهي قوة مؤيدة تنافح في سبيل نصرة الدين الحنيف .

وقد ظهر ذكاء خالد وحنكته في الحروب في غزوة مؤتة – التي وقعت أحداثها في السنة الثامنة للهجرة – حيث استطاع أن يجنب المسلمين ويلات حرب كانت نتيجتها ستعود على المسلمين بالويل والثبور لولا حسن تصرفه واعتماده على الحرب النفسية ، محاولا خديعة العدو ، ولذا استحق أن يصفه النبي ﷺ بأنه سيف من سيوف الله التي سلها على الأعداء.

٥- عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال له:" يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود "[٩٤] ، يصف النبي ﷺ أبا موسى الأشعري بأنه حسن الصوت عند تلاوته القرآن الكريم ، مجسما وملزما هذا الحسن بمزمار آل داود ، وقد كان داود عليه السلام حسن الصوت جدا في قراءته للزبور، إذن فالمقصود من التصوير في الحديث هنا هو بلوغ أبي موسى أقصى درجات الحسن في قراءة القرآن ، والتأثير بقراءته فيمن حوله.

وفي الحديث مايشي بأن النبي ﷺ كان يحب استماع القرآن بصوت حسن ، ومن المعلوم أنه ﷺ كان حسن الصوت عند تلاوته للقرآن ،كما في حديث البراء : " سمعت رسول الله ﷺ قرأ في العشاء "والتين والزيتون " فما سمعت أحدا أحسن منه صوتا "[٩٥].

٦- ومن ذلك أيضا حديث سلمة بن الأكوع فيما يخص عامر بن الأكوع [من حديث طويل في فتح خيبر] " ...قَالَ سَلَمَةُ : رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي قَالَ : مَا لَكَ ؟ ! قُلْتُ لَهُ : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : كَذَبَ مَنْ قَالَهُ إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ ، (وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ) إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ "[٩٦].

في هذا الحديث يصف النبي ﷺ عامرا بصفتين تدلان على القدرة علي الفعل والمغالبة فيه: [جاهد – مجاهد] فلفظة (جاهِد) اسم فاعل من (جَهَد)تفيد أنه رضي الله عنه قد بالغ في الجهد ، وبذل غاية وسعه في قتال العدو في سبيل الله ، أما لفظة (مجاهِد) فهي اسم فاعل من (جاهَدَ) وتفيد أن عامرا كان مناضلا فريدا ، ومحاربا محنكا ، عالما بأسرار القتال ، متفانيا في الدفاع عن الإسلام[٩٧] .

وقوله عن عامر " قل عربي مشى بها مثله " يفيد أن تصرف عامر بهذا الأمر ، وبهذا الإخلاص والتفاني في سبيل رفعة الدين الحنيف ، على الرغم من قلة ما كان يملك من أدوات الحرب التي كانت

---

[٩٤] السابق باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن حديث رقم٤٧٦١ .

[٩٥] صحيح البخاري حديث رقم ٧٥٤٦ .

[٩٦] صحيح البخاري حديث رقم٣٩٦٠، وستأتي الإشارة إلى هذا الحديث في الجانب الفني .

[٩٧] والمناسبة أنه فى يوم خيبر كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودى ليضربه ، فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر (أى طرف ركبته الأعلى) فمات منه ، أى أصيب عامر بسيف نفسه فمات ، فهذا سر زعمهم أنه حبط عمله .

سببا في استشهاده ، هذا التصرف من هذا الصحابي الجليل بهذا الوعي والإدراك الكاملين لا يقع إلا من شخص مثل عامر، ومثله قليل ، بل نادر ، ومن ثم كان التنكير في كلمة [عربي] الذي يفيد العموم .

المبحث الرابع : البناء الفني.

أولا – القيم التعبيرية.

بات واضحا أن وظيفة التعبير في العمل الأدبي لاتنحصر عند الدلالة المعنويَّة للألفاظ والعبارات فحسب ، بل تُضاف إلى ذلك مؤثراتٌ أخرى يكمل بها الأداء الفني، منها: الأسلوبُ الذي تُعرض به التَّجارب، وتنسُق على أساسه الكلمات والعبارات ، فضلا عن الإيقاع الموسيقيِّ لهذه الكلمات وهذه العبارات.[٩٨]

أ– الألفاظ : حينما نتحدث عن ألفاظ الحديث النبوي فلا نجد أفضل مما قاله السابقون في هذا المجال ، ولعل أقدم النقاد وأحسنهم وصفا لكلام رسول الله ﷺ هو الجاحظ في قوله :[٩٩] "هو الذي قَلَّ عددُ حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجلّ عن الصنعة، ونـــزه عن التكلف " ، " وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشّاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام . ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يَبُذُّ الخطبَ الطوالَ بالكلم القصار ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفَلَج إلا بالحق ، ولايستعين بالخِلابـــة ، ولا يستعمل المواربـــة ، ولا يهمز ، ولا يلمز ، ولا يبطئ ، ولا يعجل ، ولا يسهب ، ولا يَحْصَر ، ثم لم يسمع الناس كلام قَطُّ أعم نفعًـــا ، ولا أصدق لفظًا ، ولا أعدل وزنًا ، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا ، ولا أحسن موقعًا ، ولا أسهل مخرجًا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه ؛ من كلامه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كثيرًا . "

من خلال هذا النص يتضح لنا أن الجاحظ قد وافق الصواب فيما قال ،كما أصاب كبد الحقيقة في قوله عن كلامه ﷺ أيضا :" فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُيّد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق . "

وقد تميزت ألفاظ النبي ﷺ بخصائص وسمات شتى تدل على قمة البلاغة التي مازال الأدباء والبلاغيون يرتشفون من معينها الثر الفياض ذي الخصوصية والتفرد ، ولعل من أهم هذه الخصائص والسمات التي تخص هذه الدراسة مايلي :

---

[٩٨] ينظر النقد الأدبي أصوله ومناهجه /سيد قطب ص ٦٨ ، ط دار الشروق ، الطبعة السادسة ،١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

[٩٩] البيان والتبيين ، ج٢ ص٨ ، ٩ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١- السهولة والوضوح وعدم التكلف : فهذه السمة تعد الطابع العام لأحاديث النبي ﷺ فقد تميز بيانه بالتوازن في العبارات مع السهولة والوضوح والبعد عن الغموض والتقعر في اللفظ والإغراب فيه ، حرصا منه على أن يكون حديثه مفهوما وواضحا لسامعيه ؛ليقطع الشك ويزيل الغموض ، يقول العقاد: " إن محمداً العربي الناشيء في بني سعد ، العالم بلهجات القبائل لم يكن في كلامه غريب يجهله سامع أو يحتاج تبيانه إلى مراجعة ؛ لأنه يريد إبلاغ رسالته مباشرة دون حاجز لفظي أو معنوي "[١٠٠]، وهذا يدلنا على أنه ﷺ كان يمتلك معجما لغويا خاصا، ساعده في اختيار الألفاظ التي تتساوق مع المقام لعرض أحاديثه ، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ومنها قوله ﷺ في فاطمة – رضي الله عنها – : عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– قالت : " أقبلـــت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ مرحبـــا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه [أو عن شمالـــه] ثم أسر إليها حديثا فبكت ، فقلت لها : لم تبكين؟! ثم أسر إليها حديثا فضحكت ، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ فسألتها ، فقالت : أسر إلي : إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي ، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي ، فبكيت فقال : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين ؟! فضحكت لذلك "[١٠١]

ومن ذلك أيضا قوله ﷺ عن عامر بن الأكوع فيما رواه سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه– من حديث طويل في فتح خيبر:

" ...قَالَ سَلَمَةُ : رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي ،قَالَ مَا لَكَ ؟ قُلْتُ لَهُ : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ ،قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – :كَذَبَ مَنْ قَالَهُ ، إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ ، (وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ) إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ، قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ ".[١٠٢]

وهكذا نجد النبي ﷺ – في الحديثين السابقين وما سبقهما من أحاديث في هذا الجانب – لديه القدرة على صياغة أحاديثه الشريفة صياغة بلاغية مختارة ، تتمثل في السهولة والوضوح وعدم التكلف ، مع موافقة ألفاظه للمعاني ، كيف لا، وقد ملك– صلى الله عليه وسلم– ينابيع الألفاظ حتى استحالت موردا عذبا ينهل منه أصحاب الفصاحة والبيان من كل حدب وصوب ، فإن أنت فتشت في بيانه – صلى الله عليه وسلم – فلا تجدلفظا غامضا أو متكلفا ، ولعل السر في ذلك يكمن –كما قال الدكتور الصباغ – في أن مهمة

---

[١٠٠] عبقرية محمد لعباس محمود العقاد ص ٧٣ دار نهضة مصر ، القاهرة.

[١٠١] صحيح البخاري حديث رقم٣٤٢٦.

[١٠٢] صحيح البخاري حديث رقم٣٩٦٠.

الرسول الأولى "هي تبليغ الرسالة ، والنفاذ بها إلى قلوب الناس ، ولن يكون ذلك إلابالكلام الواضح المفهوم الجزل المتين ".[١٠٣]

٢- جاءت بعض ألفاظه - في هذا الإطار- **ذات دلالات عميقة وإيحاءات قادرة على البوح** ، ومن ذلك قوله ﷺ عن عمر- رضي الله عنه - : " أُريت كأني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين ، فنزع نزعاً ضعيفاً ، والله تبارك وتعالى يغفر له، ثم جاء عمر فاستقى ، فاستحالت غرباً ، فلم أر عبقريّاً يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن "[١٠٤] ، ومعنى قوله : " فلم أر عبقرياً يفري فريّه ، حتى روى الناس ، وضربوا بعطن " أي لم أر سيدا من الناس يعمل بعمله ، ويقطع قطعه ، وقد عبر ﷺ بكلمات لها دلالات عميقة وإيحاءات كاشفة ، ككلمات :" عبقريّا - يفري - ضربوا بعطن "

أما كلمة " عبقري " فأطلقها رسول الله ﷺ على عمر لما يتسم به- رضي الله عنه - من شدة في الحق ، وقوة في الجسم ، ومكانة في نفوس القوم ، يقول ابن منظور : " يقال : هذا عبقري قوم، كقولك : هذا سيد قوم وكبيرهم وشديدهم وقويهم ، ونحو ذلك"[١٠٥] ، وكلمة "يفري " توحي بالإجادة في العمل ، تقول العرب: " تركته يفري الفريّ ، إذا عمل العمل فأجاده ،وفي حديث حسان : لأفرينَّهم فري الأديم ، أي أقطعهم بالهجاء كما يقطع الأديم ، وقد يكنى به عن المبالغة في القتل . "[١٠٦]

واختيار كلمة " عطن" تدل على بلاغة الرسول ﷺ وبراعته في مراعاة الفروق الدقيقة بين معاني الكلمات ، وانتقاء الألفاظ التي تتساوق والبيئة التي يعيش فيها الصحابة -رضوان الله عليهم- بما يسهم في تكوين صورة قادرة على الإشعاع ، فلفظة " عطن" لا تستعمل في الحقيقة إلا للإبل ، فهي للإبل كالوطن للناس ، واستعمالها للإنسان يكون على سبيل الاستعارة ، وذلك دليل على شدة عمربن الخطاب وحزمه ، وحسن سياسته للأمة في عهده مع كثرة عددهم ، يقول صاحب اللسان :" يقال ضربت الإبل بعَطَن ، إذا رويت ثم تركت حول الماء أو عند الحياض ، لتعاد إلى الشرب مرة أخرى ؛ لتشرب علَلًا بعد نَهَل ، فإذا استوفت رُدت إلى المراعي والأظماء ، ضرب ذلك مثلا لاتساع الناس في زمن عمر وما فتح الله عليهم من الأمصار ."[١٠٧]

---

[١٠٣] الحديث النبوي : مصطلحه ، بلاغته ، كتبه ، د/ محمد الصباغ ، ، ص٦٨ ، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

[١٠٤] شرح النووي على صحيح مسلم ج٤ المسألة رقم ٢٣٩٣ ، حديث رقم ٤٤١٤.

[١٠٥] لسان العرب لابن منظور مجلد٤ ج٣٢ باب العين ص ٢٧٨٨، ط دار المعارف بمصر

[١٠٦] السابق مجلد٥ ج ٣٨ ص ٣٤٠٨ مادة فرا ، باب الفاء .

[١٠٧] السابق مجلد ٤ ج٣٤ ص٣٠٠٠ مادة عطن .

وهكذا كان الإعجاز النبوي في حسن اختيار اللفظ الذي لايقوم غيره مقامه ، أو " الذي إذا أبدل مكانه غيره ، جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة "[١٠٨]، لأنه كلام – كما قال الجاحظ – " قد حُفَّ بالعصمة ، وشُيّد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ".[١٠٩]

٣ – شيوع المعجم القرآني في ألفاظ النبي ﷺ .

فقد كان القرآن الكريم رافدا مهما من روافد عديدة أمدته بهذه البلاغة النبوية ، وتأثره بالقرآن الكريم لايحتاج إلى برهان ، بل إن أحاديثه ﷺ هي أقوى برهان على ما نقول :

يقول الرسول ﷺ : "ولوكنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبابكرخليلا " [١١٠] ، ومثله قوله يوم خيبر : " لأعطين الراية غداً رجـــلاً يفتح الله على يديه ، يحـــب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله " وقولـــه: " فوالله لأن يهدي الله بك رجـــلاً واحداً خيـــر لك من أن يكون لك حمر النّعم"[١١١] ، وقوله :" فوليت مدبرا "[١١٢] في حديث أبي هريرة الخاص بعمر ، وقوله عن ساقي ابن مسعود : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ " .[١١٣] إلى غير ذلك من ألفاظ تدلل على ما نقول .

****

ب– الأساليب

الأسلوب هو " طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام"[١١٤]، أو هو" طريقة الأداء ، أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه ، أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية "[١١٥]، أوهو الوسيلة اللازمة لنقل أو إظهار ما في نفس الأديب من معان[١١٦] ، وهو دلالة على منحى محدد في هذا النشاط أو ذاك ، يحمل قواعد وخصائص تميزه عن غيره .[١١٧]

---

[١٠٨] إعجاز القرآن للخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . تحقيق محمد خلف الله ، و محمد زغلول سلام ، ص٢٩ دار المعارف ، ط٤ مصر

[١٠٩] البيان والتبيين ج٢ ص٩ .

[١١٠] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١ ص٨٠٩ حديث رقم ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

[١١١] فتح الباري ج٧ ص٦٧٦ حديث رقم٤٢١٠

[١١٢] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، ٤٩٢٩ .

[١١٣] مسند أحمد بن حنبل ٣٨٥٩ ، وصحيح ابن حبان ٧٢٢٦ ، ومسند أبي داوود٣٥٠

[١١٤] دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزيات، ط عالم الكتب ، مصر١٩٦٧م.

[١١٥] الأسلوب د/ أحمد الشايب ص ٤٤ ، مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة السادسة، ١٩٦٦م .

[١١٦] السابق ص ١٢ .

[١١٧] ينظر: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام د/ عدنان على رضا النحوي ص٧١ ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ –١٩٩٩م .

أما الأسلوب النبوي : فهو طريقة النبي ﷺ في اختيار ألفاظه وتعبيراته ؛ للتعبير بها عن المعاني التي أوحى الله إليه بها ، والتي تحمل خصائص وسمات مميزة .

ويتميز البيان النبوي– في هذا الإطار– بخصائص أسلوبية شتى تدل على التفرد والخصوصية في الإبداع الأدبي ، ويتجلى هذا التفرد فيما يلي :

١– قدرته –صلى الله عليه وسلم – على تخليص الكلام من زوائده ، و تكثيف المعاني الكثيرة وورودها في ألفاظ قليلة ، وهو ماعرفه علماء البلاغة بالإيجاز ، وهو " تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى "[١١٨] وهو ما عناه الرسول ﷺ بجوامع الكلم في قوله :" أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصارًا "[١١٩] ، وهو من أبرز خصائص البيان النبوي " ولايُؤتَى الإيجاز إلامن رزق حدة في الذهن ، وإرهافا في الإحساس البياني ، ومعرفة تامة بدلالة المفردات ، وإدراكا واعيا لأحوال المخاطبين ، وقد اجتمع ذلك كله في الرسول ﷺ على أكمل وجه "[١٢٠].

وعن قوة الإيجاز في التعبير، وكونه صفة في البيان النبوي يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات : " والإيجاز وهو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة غالب على أسلوب الرسول ؛ لأن الإيجاز قوة في التعبير ، وامتلاء في اللفظ ، وشدة في التماسك ، وهذه صفات تلازم قوة العقل ، وقوة الروح ، وقوة الشعور ، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه "[١٢١] ، ومثل هذا النوع من الإيجاز يشيع في كلام النبي ﷺ وخاصة فيما نحن بصدد الحديث عنه من وصف الرسول للصحابة كقوله : الإيمان يمان ، وقوله لعمر: لاتزاحم على الحجر ، وقوله لأبي موسى :لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود، وقوله عن أبي بكر : لوكنت متخذاً خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ، وقوله عن عامر بن الأكوع : إنه لجاهد مجاهد ، وقوله عن خالد بن الوليد : " سيف من سيوف الله "

إن هذه الأحاديث وأمثالها لهي دليل صدق على وجود الإيجاز مع جمال التعبير وقوة السبك في وصف النبي للصحابة ، فضلا عن خلو هذا الإيجاز من أي تكلف أو غموض ؛ فقد كان ﷺ لا يعاظل في الكلام ولا يتتبع حوشي الكلام ، ولا يصف الصحابي إلا بما هو فيه .

---

[١١٨] النكت في إعجاز القرآن. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . تحقيق محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله. ص٧٦ ، ط دار المعارف ، ط٤ ، مصر .

[١١٩] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس ج١ ص ٥٤ الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة : السابعة ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

[١٢٠] الحديث النبوي : مصطلحه ، بلاغته ، كتبه د/ محمد الصباغ ، ص١٠٦ .

[١٢١] وحي الرسالة / أحمد حسن الزيات ، ج ٣ ص١٩ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثامنة .

٢- يشيع في هذا النوع من أحاديث النبي ﷺ الأسلوب الإنشائي الذي يحرك الذهن ويدعو إلى الانتباه ، كالاستفهام الذي يفيد التقرير في قوله :

" ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟وعالة فأغناكم الله بي ؟ " فهي – كما سبق أن أوضحنا– حقائق واضحة لا تحتاج إلى دليل ، بل تحتاج إلى تقرير ؛ ومن ثم كان الاستفهام التقريري.

والاستفهام في قوله " أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ؟ " يفيد التخيير ، أما الاستفهام في قوله – عن ساقي ابن مسعود– : " أتضحكون من دقة ساقيه ؟ " فيفيد الاستنكار والنفي ، ومثله قول عمر للرسول ﷺ : " أوعليـــك يا رسول الله أغار؟ ".

وكالنهي في قوله ﷺ لأبي بكر : " لا تبك " وهو ما يفيد الإشفاق ، وفي قوله لعمر : " لاتزاحم على الحجر " حيث يفيد النصح والإرشاد .

وكالأمر في قوله – في حديث سعد بن عبادة عن الغيرة – : " اسمعوا إلى ما يقول سيدكم " الذي يفيد التعجب ، وكأنه – صلى الله عليه وسلم – يدعوهم إلى التعجب من قول سعد ، أما الأمر في قوله للأنصار : " اصبروا حتى تلقوني على الحوض " فيفيد التمني ، إلى غير ذلك من ألوان الإنشاء التي خرجت عن معناها الحقيقي إلى معنى آخر مجازي يدعو إلى إثارة الذهن ،والبحث في مستتبعات تلك التراكيب .

٣- يشيع في هذا اللون من أحاديث النبي الأسلوب الحواري المباشر بين الرسول ﷺ وصحابته الأبرار ، ومعلوم أن " أسلوب الحوار محبب إلى النفس ،يضفي الحيوية على النص الأدبي الجميل ، ويدفع الملل والشـــرود ، ويشد انتبـــاه السامع ، ويجعل الإقبـــال على متابعة النص أشد ، والذهن أكثر تفتحا وتجاوبا "[١٢٢] ، وهو – هنا – في مجمله حوار من النوع الموجز الهادئ الذي تسوده الرحمة والرأفة ، وتشيع فيه الأجواء الإيمانية ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما يلي :

أ- حديث عامر بن الأكوع : " ...قَالَ سَلَمَةُ : رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي قَالَ مَا لَكَ قُلْتُ لَهُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :كَذَبَ مَنْ قَالَهُ إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ ،(وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ)إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ ".[١٢٣]

هنا يدور حوار بين الرسول ﷺ وبين أحد الصحابة (وهو سلمة بن الأكوع) ، إذ وقر في ذهن بعضهم أن عـــامرا قتل نفسه وحبط عملـــه ، فاغتم لذلك سَلَمة ،فدار هذا الحوار الموجز الذي كان سببا في تعديل الفكر الخاطئ ، وتحريك قلوب السامعين ؛ ليكونوا أكثر عطاءً وتجاوبا في سبيل رفعة هذا الدين الحنيف .

---

[١٢٢] الحديث النبوي : مصطلحه ، بلاغته ، كتبه ، د/ محمد الصباغ ، ص٩٦ .

[١٢٣] صحيح البخاري حديث رقم٣٩٦٠.

ب- وفي قوله ﷺ للأنصار في هذه اللقطة الحوارية :"...يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن ، قال : ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ ؟ قال : كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن " يلاحظ في هذا الحوار جمال أدب الأنصار وحسن ردهم على رسول الله ﷺ وقد وضح لهم حقيقة غابت عنهم مفادها أنه كان سببا في هدايتهم وغناهم وتأليف قلوبهم ، ومن ثم فلا يحق لهم أن يَجِدوا عليه ، بسبب ما أعطاه للمؤلفة قلوبهم .

٤- احتوى أسلوبه ﷺ في بعض المواقف- على ملامح القص ، فضلا عن عمق الفهم لشخصية الصحابة داخل نطاق الوصف ، ومن ذلك قول أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : " بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس فقال رسول الله ﷺ : بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا ؟ قالوا هذا لعمر، فذكرت غيرتك ، فوليت مدبرا ، فبكى عمر وهو في المجلس ، ثم قال : أو عليك يا رسول الله أغار؟! "[١٢٤]

فالمتمعن في هذا الحديث يرى أنه يشتمل على حوار يثري الناحية الأدبية ، إذ يحتوي على ما يسمى بالقصة القصيرة جدا التي زعم أصحاب الحداثة أنهم أول من كتب فيها ، كما أن الحوار هنا أظنه من النوع المتسارع المتلاحق ، حيث كثرة الفاءات التي تفيد الترتيب والتعقيب ، بما يوحي بالسرعة في الأداء وحضور البديهة وحسن التصرف ، ولعل هذا الحديث يضيء لنا ناحية أخرى من نواحي البيان النبوي ، ألا وهي : أن رسول الله ﷺ لم يقف عند حد البعد الظاهري لشخصية الصحابي ، بل اكتنه خوافي الشخصية ،واستبطن معالمها ، فاستنبط محاسنها ؛ ملتقيا مع قيم التصوير الفني الحديثة في الاستبطان والجمع بين الجمال والقيمة المعنوية .

****

ج- الموسيقى :

للنثر الفنى إيقاعاته الموسيقية ، البادية فى تناغم الحروف وانسجام الكلمات وانسياب الجمل فى أطر متوافقة طولا وقصرا تسبى السمع وتأخذ اللب ، وقد حفل البيان النبوي بالعديد من الألوان الموسيقية الموفقة التي هي من صفات الجودة في الأسلوب ، والتي تجذب الأذهان إليها بالفطرة السليمة ، ويرى بعض الدارسين أن الحديث النبوي تنطلق موسيقاه من ثلاثة أشياء ، الأول : من حروف الكلمة الواحدة التي تكون الموسيقى الداخلية للكلمة ، والثاني : من الكلمات مجتمعة في جملة تكون الموسيقى الداخلية للجملة ، والثالث : من الجمل التي تكون موسيقى الكلام .[١٢٥]

---

[١٢٤] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، ٤٩٢٩ .

[١٢٥] ينظر : الحديث النبوي : مصطلحه ، بلاغته ، كتبه ، د/ محمد الصباغ ، ص٩١.

فمن النوع الأول – حسن اختياره ﷺ للكلمات ذات الدلالة الإيقاعية ، التي تكون الموسيقى الداخلية للكلمة ، والتي تسهم في أداء المعنى قوله ﷺ عن عامر بن الأكوع : " إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ "،[١٢٦] فقوله"جَاهِدٌ مُجَاهِدٌ " ساعد على تقريب المعنى في ذهن السامع ، فضلا عما تتسم به أصوات هاتين الكلمتين من جرس موسيقي رائع ، يسهم في الأداء ، ويحقق المعنى المطلوب ، والجاهد : هو المبالغ في الجَهد ، والجَهد هو الطاقة والمشقة ، ويقال: " جاهد العدو مجاهدة وجهاداً : قاتله وجاهد في سبيل الله ."[١٢٧] فاختيار الرسول ﷺ لهذه المادة (جهد) هو اختيار مقصود لذاته، يدل دلالة واضحة على أن عامراً قتل شهيداً في سبيل الله، ولم يقتل نفسه متعمداً كما ادعى البعض ، هذا بالإضافة إلى ما أحدثته موسيقى الجناس من تأكيد للمعنى في ذهن السامع ،وصولا إلى تحقيق درجة معينة من التواصل والتفاعل مع المتلقي .

ومن النوع الثاني – أعني حسن جمعه الكلمات مجتمعة في جملة تكون الموسيقى الداخلية للجملة – قوله ﷺ لأبي ذر حين طلب الإمارة : " يا أبا ذر، إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها ".[١٢٨]

يلاحظ هنا أن النبي ﷺ قد بلغ الغاية في حسن جمعه الكلمات المتآلفة المخارج ، بحيث لا تجد كلمة متنافرة المخارج أو مستكرهة على السمع ، أو ثقيلة في النطق ، فضلا عن ملاءمة كل كلمة للتي تليها في المعنى ، فكلمة " ندامة " تلائم كلمة" خزي "، وهاتان الكلمتان تتلاءمان مع " يوم القيامة ".

ومن عناصر الإيقاع الداخلي – أيضا – في هذا الحديث الشريف حسن التقسيم في قوله : " إنها لأمانة – وإنها يوم القيامة خزي وندامة – إلا من أخذها بحقها – وأدى الذي عليه فيها " .

كما تعالق حسن التقسيم مع الإيقاع الموسيقي المنبعث من السجع الموجود في الكلمات " أمانة ، القيامة ، ندامة / أخذها ، حقها ، فيها "وقد تم ذلك بانسجام تام ، مما كان له الأثر الواضح في تثبيت المعنى في ذهن المتلقي .

ومن النوع الثالث – أعني حسن ربطه – ﷺ – بين الجمل التي تكون موسيقى الكلام في الحديث الشريف قوله عن أهل اليمن : " أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة ، وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم ".[١٢٩]

و من خلاله يلاحظ أن ثمة أشياء حققت هنا هذا النوع من الموسيقى منها : حسن اختياره ﷺ للألفاظ ، وقد سبق بيان هذا عند الحديث عن البعد الإيماني ، ومنها : استخدامه أسلوب المقابلة بين قوله " الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل " وبين قوله : " والسكينة والوقار في أهل الغنم" ، وهذا النوع من المقابلة يسهم

---

[١٢٦] صحيح البخاري حديث رقم٣٩٦٠ .

[١٢٧] لسان العرب لابن منظور ، مجلد١ ، ج٩ ، ص٧١٠ .

[١٢٨] صحيح مسلم ، ج٦ ، ص٦ .

[١٢٩] فتح الباري ج٧ ص٨٧٧ حديث رقم ٤٣٨٨.

في إبراز الصفة التي خلعها الرسول الكريم ﷺ على أهل اليمن ، ومنها أيضا : مراعاة النظير ، وهو الجمع بين الشيء وما يناسبه من نوعه من الألفاظ ، كقوله ﷺ : " الإيمان يمان " ،" أرق أفئدة وألين قلوبا " ، " الفخر والخيلاء " ، " السكينة والوقـــار " وفي هذا ما يؤدي إلى التماسك النصي ، فضلا عن كونه يسهم في الجانب الإيقاعي .

****

ثانياً – القيم المعنوية [طبيعة المعاني والأفكار]

احتل مصطلح المعنى – قديما – مكانا بارزاً عند كل من ابن طباطبا في عيار الشعر [١٣٠]، والمرزوقي في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام [١٣١] ، وابن الأثير في المثل السائر،[١٣٢] وغيرهم من النقاد القدامى .

ويرى بعض نقادنـــا المحدثين أن هناك تقارباً شديداً بين المعاني والأفكار ، كما أن المعنى ، والموضوع ، والغرض ، توشك أن تكون مترادفات بينها – بالطبع – فروق دقيقة ، ولكنها خفيفة على أية حال[١٣٣]، أما مصطلح "الفكر " فى الشعر فيقصد به وجود الشاعر المفكر ذاته ، على أن هذه الفروق تعد خفيفة على أية حال[١٣٤] ، ومن ثم ندرك أن المعـــاني والأفكـــار مصطلحان يقتربـــان من بعضهما اقتراباً شديداً ، ولا يمكن الفصل بينهما فى الواقع الخارجى مطلقاً .

وقد اتسمت معاني وأفكار الحديث الشريف – في هذا الإطار الذي نحن بصدد الحديث عنه – بسمات شتى أذكر منها ما يلي :

١– الدقة مع الوضوح ، أي وضوح الدلالة على المعنى المقصود ، فتقرأ حديثه ﷺ فتجده كالحكم الخالصة ، كدليل على دقة الأفكار وسموها ، مع شدة وضوحها ، ولعل هذا نابع من خصوصية اللفظ عنده ، فحينما يقول ﷺ عن عمر :

---

[١٣٠] ينظر عيارالشعر لابن طباطبا، شرح وتحقيق /عباس عبد الساتر ،ص١٤، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

[١٣١] ينظر شرح ديوان الحماسة لأبي تمام /للمرزوقي، مقدمة الشارح ،من ص٨– ص ١٨ دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى٢٠٠٣م/١٤٢٤ه.

[١٣٢] ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعرلابن الأثير ، تقديم وتعليق د/ أحمد الحوفي ، ود/ بدوي طبانة ، الفصل الثالث في الحكم على المعاني ، ص٦٢ ومابعدها ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة .

[١٣٣] ينظر طبيعة الشعر وتخطيط لنظرية فى الشعر العربى د/ محمد أحمد العزب من ص٤٤ – ٦٧ مطبعة الفجر الجديد بمنشية ناصر ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

[١٣٤] ذاته ص ٦٨ .

" فلم أر عبقرياً يفري فريّه حتى روى الناس وضربوا بعطن " ، أويقول عن أهل اليمن أو الصالحين منهم : " أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة،وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم".[١٣٥] نجد أن معانيه ﷺ جد واضحة ، ففي الحديث الأول يتحدث عن شدة عمر في الحق ومدى حزمه وحسمه ، وفي الحديث الثاني يتحدث عن مدى تواضع أهل اليمن – أو الصالحين منهم – ورقة قلوبهم التي ذابت حبا في الله ورسوله ، وهي معانٍ تتسم – كذلك – بالدقة والواقعية ؛ حيث عمد الرسول الكريم إلى وصف عمر وأهل اليمن بصفات واقعية ، تجلي نفسيتهم ، وتحلل دوافعهم النفسية المختلفة بوضوح لا خفاء فيه .

٢- **الجدة والطرافة** ، فنجد أن رسولنا الكريم أفصح لنا– في هذا الإطار – بمعان بكر جديدة أصيلة ،لم يكن للصحابة بها عهد من قبل ، جعلتهم يقلدونه فيها ويحتذون حذوه ،كقوله– ﷺ – عن دقة ساقي ابن مسعود : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ " .[١٣٦] فهنا عرضٌ جديدٌ لمعان جديدة لم تعهد من قبل ، كدليل على الأصالة التي قال عنها الزيات "وملاك الأصالة أن لا تكتب كما يكتب الناس ، ملاكها أن تكون أصيلاً فى نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك"[١٣٧]

٣- **التسلسل والإحكام والترابط** ، وهذا أمر واضح للعيان لا يحتاج إلى الاستشهاد ؛ لأنها أفكار نبعت من فكر مكين ، من مشكاة النبوة المعصومة المصدر ، ذات الهدف السامي ، الذي يدعو إلى الهدى والصلاح ، ولنأخذ حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ؛ ليكون تطبيقاً عملياً على هذه الخصيصة ، إذ يقول :" لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصارشيئا ، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم ، فقال : يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن ، قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ ؟ قال: كلما قال شيئا قالوا :الله ورسوله أمن ، قال: لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا ، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ؟ ! لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصارشعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ."[١٣٨]

يلاحظ هنا أن المعاني مترابطة محكمة متسلسلة ، يشد بعضها إلى بعض ، فكل فكرة في الحديث متممة لما قبلها ، ممهدة لما بعدها ، فكونهم ضلالا محتاجين للهداية ، يمهد لكونهم متفرقين محتاجين لمن يجمع بينهم ، كما أن كونهم عالة محتاجين للغنى برسول الله ﷺ يتمم ماقبله من معنى ، وهكذا يبدو التسلسل والترابط

---

[١٣٥] فتح الباري ج٧ ص٨٧٧ حديث رقم ٤٣٨٨

[١٣٦] مسند أحمد بن حنبل ٣٨٥٩ ، وصحيح ابن حبان ٧٢٢٦ ، ومسند أبي داوود ٣٥٠

[١٣٧] مجلة الرسالة/ العدد ٥٢٢ / بتاريخ ١٩٤٣/٧/٥، مقال : دفاع عن البلاغة للأستاذ/ أحمد حسن الزيات .

[١٣٨] صحيح البخاري ، كتاب المغازي حديث رقم ٤٠٧٥

واضحين ، أما الإحكام الذي معناه " أن يكون المعنى ملما بالحقيقة من كل أطرافها "[١٣٩]، فمن الواضح أن الرسول الكريم قد لامس كبد الحقيقة ، وفهم نفسية الأنصار ؛ ومن ثم ختم كلامه بهذا الاستفهام الذي يحمل معنى المفارقة الغريبة التي تجمع بين رجوع المؤلفة قلوبهم بالشاة والبعيرفقط ، وبين رجوع الأنصار برسول الله ﷺ وبما يحمله هذا المعنى من بركة وهدى وحلم وعفو ورأفة ورحمة وكل معاني الهدى والبر، وقد كان الرسول ﷺ يعلم مدى حب الأنصـــار له ، ولذا بادلهم حبا بحب ، حين قال :" لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ." ، ومن ثم يمكن لنا أن نضيف هنا سمة أخرى تضاف إلى سمات الأفكار في الحديث النبوي، وهي تغازر المعاني وامتداد الظلال ، و هذا واضح في جل أحاديث النبي ﷺ في هذا الإطار . ولا يخفى دور الأسلوب القصصى فى كثير من هذه الأحاديث فى تحقيق التماسك النصى والترابط المعنوى بين التراكيب .

ثالثا – القيم التصويرية [وسائل التصوير]

التصوير الأدبي هو " إبراز الانفعالات بكلمات دقيقة يبرع الكاتب بأدائها ، وذلك إما عن طريق الوصف النقلي، وإما عن طريق التحليل النفسي، والتصوير الثاني أدق من الأول وأكثر أهمية ؛ لأنه يصور ما يعتمـــل في الوجدان من عواطف، وهذا يتطلب براعة فائقة، وقد يكون التصوير النفسي ذاتيا بتصـــوير إحساســـات المؤلف نفسه، أو غيريا بأن يصور إحساسات الآخرين "[١٤٠]، هذا النوع هو المقصود في هذا الباب .

وإذا كان نقادنا القدامى قد اكتفوا فى الوقوف أمام الصورة عند الحدود القريبة من التشبيه أو الاستعارة أو المجاز ، ولم يتعمقوا فى تحديد هوية صور مختلفة الأشكال والأنواع ظهرت في دراسات المحدثين فيما بعد ، فإنه حريّ بنا ألا نتوقف حيثما توقف الأقدمون ، شاكرين لهم جهودهم الحثيثة في وضع بذور هذا النوع من الفن ، وكان لزاماً علينا أن نغوص فى أعماق الصورة ؛ بهدف جني ثمارها المرجوة ، واستخراج ما فيها من لآلئ ثمينة ذات أنماط متعددة ، ومن ثم ينبغى أن ننظر إلى الصورة – فى إطار بحثنا – بما يتفق والنظرة الحديثة التى عرفت الصورة وحددت هويتها بأنها (رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة .)[١٤١]

ولعل تعريـــف سيسل دي لويس السابق للصورة يضم بين ثنايـــاه – فيما يضم – الصورة الحقيقية التى لا تعتمد على خيال أو مجاز ، فضلاً عن الصورة التى تعتمد عليهما ، وفى هذا رد على من استعمل الصورة فقط للدلالـــة على كل ما له صلة بالتعبير الحسى ، ويطلقها أحيانـــاً كمرادف للاستعمال الاستعارى للكلمات[١٤٢] ، وعلى من ألزمها الاعتماد على التجسيد فقط[١٤٣] .

---

[١٣٩] الحديث النبوي : مصطلحه ، بلاغته ، كتبه د/ محمد الصباغ ، ص٦١.

[١٤٠] المعجم المفصل في الأدب د/ محمد التونجي ، ج١ ، ص ٨٨٣ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

[١٤١] الصورة الشعرية تأليف/ سيسل دى لويس ، ترجمة د/ أحمد نصيف الجنابى وآخرين ، ص٢٣ ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، ١٩٨٢م.

[١٤٢] ينظر الصورة الأدبية د/ مصطفى ناصف ، ص٣ ، مكتبة دار مصر للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٨م .

[١٤٣] ينظر أضواء على الأدب الحديث د/ أحمد الحوفى ، ص١٧٧ ، ط دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م ، وينظر : وصف الصحابة لخطاب النبي ﷺ الموقف والأداة / للباحث ص٣٥ ، ٣٦ .

هذا، وينبغي الإشارة – فيما يخص التصوير في أحاديث النبي ﷺ – في هذا الإطار – إلى شيئين:

أولا: أن التصوير في هذا الإطار من الحديث النبوي يتميز بالصدق الواقعي والفني، فهو ﷺ لايصف الصحابي إلا بما هو كائن فيه ، فما ينطق عن الهوى.

ثانيا: أن الخيال في الحديث النبوي – في هذا الإطار – يتجه نحو الميل الي الخيال التعبيري لا الوهمي ؛ للتوصل إلى إبراز طبيعة الصحابة ؛ لتزكيتهم وتثبيتهم ، يقول الرافعي : " ثم هو ﷺ ليس كغيره من بلغاء الناس: يتصل بالطبيعة ليستملي منها ؛ بل هو نبي مرسل متصل بمصدرها الأزلي ليملي فيها .... ، فلا موضع للخيال في أمره ، إلا ما كان تمثيلًا يراد به تقوية الشعور الإنساني بحقيقة ما في بعض ما يعرض من باب الإرشاد والموعظة."[١٤٤]

من هذا المنطلق حوت أحاديث النبي التي وصف فيها صحابته صوراً فنية مطبوعة غير متكلفة تتساوق مع ما وضعــه النقد الحديث من أنماط للصورة: ،كالصورة الإشارية التى تعتمد على الإشارة ، والصورة الحركية التى تعتمد على الحركة ، فضلا عن الصور التشبيهية والاستعارية والكنائية– وهي كثيرة في هذا الإطار – ولعل كثرة هذه الصور هنا تدل – كما يقول الدكتور الصباغ – " على أن رسول الله ﷺ كان يؤثر التعبير عن المعنى المجردبالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين ؛ لأن ذلك أدعى أن يفهموا مراده ويتأثروا به"، [١٤٥] وفيما يلي بيان بعض هذه الأنماط :

١– الصورة الإشارية : هي صورة قائمة على تجسيد الحقائق والأشياء الغيبية أو الخفية التى يريد الرسول ﷺ أن يوضحها ويظهرها للصحابي فى صورة إشارات خاصة باليدين أو الأصابع أو غير ذلك ،وهذا النوع من التعبير صار يلقى اهتماما واضحا لدى دارسي الخطاب ومحلليه وأصحاب المناهج السيميائية واللغويين في العصر الحديث خاصة ؛ كمحاولة للبرهنة على علاقة التكامل القائمة بين قنوات الاتصال المختلفة ،[١٤٦] وهي علاقة أثبتها الجاحظ من قبل حين قال:" وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع "[١٤٧]، وقد جاءت مثل هذه الصور في الحديث الشريف ، تحقيقا للغاية من البلاغة وهي الإيضاح والإفهام والإقناع والتأثير، ومن نماذج هذا اللون في كلام الرسول ﷺ قوله عن عامر بن الأكوع : " ...قَالَ سَلَمَةُ : رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي قَالَ مَا لَكَ قُلْتُ لَهُ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :كَذَبَ مَنْ قَالَهُ إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ ، (وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ) إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ ".[١٤٨] ففي جمعه ﷺ بين إصبعيه مايؤكد على أن

---

[١٤٤] وحي القلم/ مصطفى صادق الرافعي ج٣ ص٢٠،٢١ ، راجعه د/ درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ،بيروت.

[١٤٥] الحديث النبوي : مصطلحه ، بلاغته ، كتبه ، د/ محمد الصباغ ، ص٧٣.

[١٤٦] ينظر في ذلك كتاب العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال د/محمد العبد ، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع .

[١٤٧] البيان والتبيين ج١ ص٧٥.

[١٤٨] صحيح البخاري حديث رقم٣٩٦٠.

عامراً لم يك كما زعم بعضهم من أنه حبط عمله، ويؤكد كذلك على عظم درجته رضي الله عنه وأن جزاءه لم يك أجرا واحدا ، بل أجرين .

٢- الصورة الحركية ، وهى التى تعتمد فى مجملها على الحركة ، فتجعل اللوحة كلها تفيض حركة وحيوية ، دون اعتماد على أي لون بياني، ومن ذلك قوله ﷺ عن عمر :"بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا ؟ قالوا هذا لعمر ، فذكرت غيرتك ، فوليت مدبرا ، فبكى عمر وهو في المجلس ، ثم قال أَوَ عليك يا رسول الله أغار؟! "[١٤٩] وقد أشرت آنفاً إلى أن هذا الحديث يفيض حركة وحيوية ، حيث كثرة الفاءات التي تفيد الترتيب والتعقيب ، بما يوحي بالسرعة في الأداء وحضور البديهة وحسن التصرف [فذكرت غيرتك – فوليت مدبرا – فبكى عمر].

٣- الصورة التشبيهية ، وأعني بها تلك الصور التي تعتمد على التشبيه ، لتميزه بالوضوح ؛ إسهاما في إيصال المعنى على نحو لا يحتاج إلى دليل ،كقوله ﷺ عن أبي هريرة : " أبو هريرة وعاء من العلم "[١٥٠]، فقد شبه النبي ﷺ أبا هريرة بوعاء العلم النافع ، تعظيما لمكانته ، وإظهارا لمنزلته في العلم وأنه راسخ فيه محيط بجنباته ، وهذا التشبيه من أعلى الأنواع ، فهو تشبيه بليغ محذوف الوجه والأداة ، يوضح مقدار حال أبي هريرة عند رسول الله ﷺ .

ومنه قوله ﷺ : " الأنصار شعار والناس دثار " ، حيث إن الشعار هو الثوب الذي يلي الجسد ، والدثار فوقه ، ومن ثم شبه الأنصار بالشعار ، كدليل على مدى قربهم من قلبه ﷺ وحبه لهم ، وهو تشبيه بليغ – كذلك – وبعض النقاد يسمي هذا النوع من الصورة بالصورة الجزئية ، أو الصورة القصيرة .

٤- الصورة الاستعارية (التجسيم والتشخيص) وهنا أشير إلى أن بعض النقاد يسمي (الاستعارة المكنية) بالصورة التشخيصية[١٥١] ، وقد فرق البعض بين التجسيم والتشخيص فحصروا التجسيم فى إبراز الأشياء المعنوية وعرضها بصورة محسوسة ، أما التشخيص فحصروه فى إلباس الجمادات أو قوى الطبيعة صورة الأحياء من بنى البشر ، وإضفاء عواطفهم ومشاعرهم عليها[١٥٢].

---

[١٤٩] صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، حديث رقم ٤٩٢٩ .

[١٥٠] المستدرك على الصحيحين / للحاكم النيسابوري ، مسألة ٢٥١٦ ، حديث رقم ٦٢١٥ .

[١٥١] ينظر : عن بناء القصيدة العربية الحديثة د/ على عشرى زايد ، ص٧٦ وما بعدها ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ، والفن ومذاهبه فى الشعر العربى د/ شوقى ضيف ، ص٢٣٦ ط دار المعارف ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٨٧م

[١٥٢] ينظر الفن ومذهبه فى الشعر العربى د/ شوقى ضيف ، ص٢٣٣ ، وينظر الصورة الفنية فى الشعر الإسلامى عند المرأة العربية فى العصر الحديث د/ صالح بن عبد الله بن عبد العزيز الخضيرى ، ٢٤٨ وما بعدها ، مكتبة التوبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ عن عمر : فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن "[١٥٣] ، فلفظة " عطن "– كما أسلفنا– لا تستعمل في الحقيقة إلا للإبل ، فهي للإبل كالوطن للناس ، واستعمالها للإنسان يكون على سبيل الاستعارة ، كدليل على شدة عمر بن الخطاب وحزمه وحسن سياسته للأمة ، كما أن في كلمة [يفري] استعارة تبعية دلالة على المبالغة في القتل .

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري: " يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود "[١٥٤] ، فقد شبه الرسول ﷺ صوت أبي موسى حين تلاوته القرآن الكريم بمزامير آل داود ، بجامع الحسن في كل ، ثم حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية ، وفي هذا تأكيد على جمال صوت أبي موسى الأشعري .

٥– الصورة الكنائية ، يمتاز التصوير بالكناية في الحديث الشريف بروعة التعبير وقوة التأثير ؛ ذلك أن التعبير بالكناية أبلغ من التصريح ، وأن في الانزياح عن اللغة المباشرة إلى اللغة غير المباشرة روعة وجمال يتمظهر في الانتقال من التصريح إلى التلميح الذي يريده المتحدث لحاجة ما ، "ويبدو أن النّبي ﷺ كان يستخدم الكناية عن الصفة أكثر من الكنايات الأخرى ؛ لأنه ﷺ كان يبتغى إيصال الصفات المندوبة إلى المخاطبين، وهذا ما يتحقق عبر استخدام هذا النوع من الكناية أكثر "[١٥٥] ، ومن الكنايات اللطيفة في حديث الرسول ﷺ في هذا الإطار قوله لزوجاته أمهات المؤمنين :

" أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً " ، وهذا التعبير كناية عن صفة الجود والعطاء ، وقد سبق شرح هذا الحديث ، ومن هذه الكنايات المهذبة – أيضا– قوله ﷺ لعمر:" والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك"[١٥٦]، ففي هذا الحديث الشريف كناية عن صفة وهي قوة الإيمان ، وقد يكون التعبير حقيقيا ، فيكون المراد – كما أوضحنا سابقا – أن قوة إيمان عمر تتضاءل أمامها قوى أخرى غير مكافئة لها ، تخر وتصرع إن ثبتت أمامها ، ومن ثم لا تجد للشيطان سبيلاً على عمر ، بل إن الشيطان يفر من الطريق الذي يسلكه عمر رضي الله عنه ، فليس هناك – إذن– ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المكنى عنه .

وهكذا كان للتصوير الفني في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم – في هذا الإطار– مكان بارز باعتباره وسيلة تعبيرية ساعدت في تشكيل الإطار العام للحديث النبوي ، سواء أكان عن طريق الصورة الإشارية التى تعتمد على الإشارة ، أم عن طريق الصورة الحركية التى تعتمد على الحركة ، أم عن طريق

---

[١٥٣] شرح النووي على صحيح مسلم ج٤ المسألة رقم ٢٣٩٣ ،حديث رقم ٤٤١٤ .

[١٥٤]صحيح البخاري باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن حديث رقم٤٧٦١ .

[١٥٥] صور الكناية في الكلام النبوي الشريف، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)السنة الثالثة – العدد التاسع – ربيع ١٣٩٢ ش/ آذار ٢٠١٣ م ،ص٥٣.

[١٥٦] صحيح البخاري ج٣ ص١٣٤٧ وفتح الباري ج٧ ص٥٨ حديث رقم ٣٦٨٣.

الصور المجازية التي تعتمد على المجاز ، كالصورة التشبيهية التي تعتمد على التشبيه ، والصورة الاستعارية التي تعتمد على الاستعارة ، والصورة الكنائية التي تعتمد على الكناية ، بل إننا لا نجاوز الصواب إذا ذهبنا – بجانب الصور المتقدمة – إلى وجود صور كلية قصصية فى هذا التصوير ، وذلك مثل ما نراه فى ما حدث يوم خيبر ، فقد أتى فى إطار صورة كلية تحفل بالصوت واللون والحركة ، وبناء قصصى يقدم لوحة متكاملة لهذا الموقف الذى كشف عما يتحلى به على ﷺ من صفات .

الخـــــاتمـــــة

بعد أن تنسمنا شذا هذه الرحلة المباركة التي طافت بنا حول وصف سيد الخلق– صلى الله عليه وسلم – للصحابة– رضي الله عنهم – أمكننا التوصل إلى نتائج عدة يمكن إجمالها فيما يلي :

١– إن وصف الرسول الكريم للصحابة – في هذا الإطار من البحث – هو من النوع الحسي ، القائم على تصوير الموصوف – أعني الصحابة رضوان الله عليهم– تصويرا صادقا ، لامجال فيه للكذب ، أو لما يتطلبه الشعر من أدوات تساعد على الصدق الفني وليس الواقعي .

٢– إن النبي ﷺ وصف صحابته وصفاً ينم عن بلاغة نادرة ، وفصاحة ليس لها مثيل ، وبيان رائع يعجز عن القيام به أساطين اللغة والبيان ، سواء أكان ذلك على المستوى الإيماني،أم على المستوى النفسي والخلقي ،أم على المستوى الحسي والموقف العملي .

٣– اتسمت ألفاظ النبي ﷺ في وصفه لصحابته بسمات عدة منها : السهولة والوضوح وعدم التكلف ، حيث كـــان يمتلك معجماً لغوياً خاصاً ، ساعده في اختيار الألفاظ التي تتساوق مع المقام ؛ لفهم أحاديثه ، كما جاءت بعض ألفاظه ذات دلالات عميقة وايحاءات قادرة على البوح ، بما يتفق وحقيقة البيان النبوي في حسن الاختيار للألفاظ الدالة .

٤– كان القرآن الكريم رافدا مهماً من روافد عديدة أمدته ﷺ بهذا الإعجاز البلاغي.

٥– الأسلوب النبوي : هو طريقة النبي ﷺ في اختيار ألفاظه وتعبيراته ؛ للتعبير بها عن المعاني التي أوحى الله إليه بها ، والتي تحمل خصائص وسمات مميزة ، وقد تميز البيان النبوي – في هذه الدراسة– بخصائص أسلوبية شتى منها :

أ– قدرته ﷺ على تخليص الكلام من زوائده ، وتكثيف المعنى ، وورود في ألفاظ قليلة ، وهو ما عرفه علماء البلاغة بالإيجاز .

ب – يكثر في هذا اللون من الأحـــاديث الأســـلوب الإنشائي ، كالاستفهام والنهى والأمر.

ج – ورد في أسلوبه ﷺ من خلال هذا النوع من الأحاديث أسلوب الحوار المباشر بين الرسول وصحابته ، مما يرفع الملل والشرود الذهني ، ويشد الانتباه ، ويجعل الصحابة يعيدون النظر مرة تلو أخرى في هذه الحياة الدنيا ونعيمها الزائف ، فلا يكترثون بها ، بل يعملون للجنة التي فيها مالا عين رأت .

٦– احتوى أسلوبه ﷺ في بعض المواقف – على ملامح القص ، كما اشتملت بعض حواراته ﷺ على ما يسمى بالقصة القصيرة جداً التي يدعى أصحاب الحداثة أنهم أول من أتى بها على خريطة الإبداع الأدبي .

٧– كان لحسن اختياره ﷺ للكلمات ،وتوفيقه الكامل في جمعه وتأليفه بين الكلمات والجمل ،فضلاًعن مجيء السجع غير المتكلف والجناس والطباق، وغير ذلك ، أثر في الجانب الإيقاعي لكلامه ، بما يؤدي إلي التماسك النصي وشد انتباه السامعين .

٨– اتسمت أفكار الحديث النبوي – في هذا الإطار– بالدقة والوضوح ، والجدة والطرافة ، والتسلسل ، والإحكام ، وحسن الترابط بين المعاني ، فضلا عن تغازر تلك المعاني وامتداد الظلال ، ودلالتها على عمق الفهم لشخصية الصحابة وصدق رؤيته ﷺ فيهم من خلال الوصف .

٩– صور الرسول ﷺ – بحسن بيانه وبديع أسلوبه – صحابته صوراً فنية مطبوعة غير متكلفة ، تتساوق مع ما وضعه النقد الحديث من أنماط للصورة : كالصورة الإشارية ، والحركية والتشبيهية ، والاستعارية ، والكنائية ، إلى غير ذلك من الصور التى نبه النقاد المحدثون إلى وجودها فى النص الأدبى ، مثل الصورة الكلية ؛ مما يدل على فرادتها فى البيان النبوي منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان .

١٠– كما وضح بالبحث أن البيان النبوي – في هذا الإطار من البحث– لم يقف عند حد البعد الظاهري لشخصية الصحابي ، بل اكتنه خوافي الشخصية ، واستبطن معالمها ، فاستنبط محاسنها ؛ ملتقيا مع قيم التصوير الفني الحديثة في الاستبطان والجمع بين الجمال والقيمة المعنوية ، وذلك فوق ما نجده من تواؤم الوصف مع طبيعة الموصوف ، حين عمد إلى أبرز الصفات المميزة للشخصية فى الأفراد ، وإلى السمات العامة البادية فى الجماعات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

فهرس المصادر والمراجع

أسد الغابة لابن الأثير، دار المعرفة للنشر ، بيروت ١٩٩٧م .

الأسلوب د/أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة، ١٩٦٦م.

الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام د/ عدنان على رضا النحوي ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٩م .

الإصابة في معرفة الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

أضواء على الأدب الحديث د/ أحمد الحوفى ، ط دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م .

إعجاز القرآن للخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، ط٤، مصر.

بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم د/ كاظم الظواهري ،مصر، ١٩٩١م /١٤١٢هـ.

البداية والنهاية لابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت .

البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي ، ط دار عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

البيان والتبيين للجاحظ ، ط دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان .

التعريفات للجرجاني تحقيق إبراهيم الإيباري ، الطبعه الأولي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، تفسير القرطبي ، ط دار الكتب المصرية .

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

الحديث النبوي : مصطلحه ، بلاغته ، كتبه د/ محمد الصباغ ، نشر المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزيات، ط عالم الكتب ، مصر١٩٦٧م.

سنن أبى داود ، تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .

سير أعلام النبلاء /للحافظ الذهبي،ط مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م
شرح أحاديث من صحيح البخارى ، دراسة فى سمت الكلام الأول د/ محمد أبو موسى ، نشر مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ١٤١٣ه – ٢٠١٠م مصر.
شرح ديوان الحماسة لأبي تمام / للمرزوقي ، مقدمة الشارح ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م /١٤٢٤ه.
شرح النووى علي صحيح مسلم ، دارإحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٢هـ.
صحيح البخاري ، ط دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
صحيح ابن حبان ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .
الصورة الأدبية د/ مصطفى ناصف ، مكتبة دار مصر للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٨م .
الصورة الشعرية تأليف/ سيسل دى لويس ، ترجمة د/ أحمد نصيف الجنابى وآخرين ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، ١٩٨٢م
الصورة الفنية فى الشعر الإسلامى عند المرأة العربية فى العصر الحديث د/ صالح بن عبد الله بن عبد العزيز الخضيرى ، مكتبة التوبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م
طبيعة الشعر وتخطيط لنظرية فى الشعر العربى د/ محمد أحمد العزب ، مطبعة الفجر الجديد بمنشية ناصر، القاهرة ، ١٩٨٠
عبقرية محمد / عباس محمود العقاد ، دار نهضة مصر ، القاهرة.
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيروانى ، تحقيق /محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢م .
عن بناء القصيدة العربية الحديثة د/ على عشرى زايد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
عيار الشعر لابن طباطبا ، شرح وتحقيق /عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
فتح الباري ،لابن حجر العسقلاني ، ط دار مصرللطباعه ، الطبعه الأولي ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.
الفن ومذاهبه فى الشعر العربى د/ شوقى ضيف ، ط دار المعارف ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٨٧م.
الفواكه الدوانى /لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوى المالكى ، دارالفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ.
فيض القدير/عبد الرؤف المناوي ، المكتبه التجارية الكبري ، مصر ، ط أولي .
كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى/ للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي ، ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٣هـ .
كتاب العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال د/محمد العبد ، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع .

لسان العرب لابن منظور ، ط دار المعارف بمصر .
اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، محمد فؤاد عبد الباقى ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٧هـ .
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ ابن الأثير ، تقديم وتعليق د/أحمد الحوفي ،ود/ بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة .
المستدرك على الصحيحين/ محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، ط دار المعرفة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
المستدرك على الصحيحين /محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ،تحقبق/ مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلميه ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
مسند أبي يعلي ، تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق الطبعه الأولى ١٩٨٤-١٤٠٤هـ.
مسند أحمد بن حنبل تحقيق / شعيب الأرناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة.
مسند أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
المعجم المفصل في الأدب د/ محمد التونجي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
النقد الأدبي أصوله ومناهجه /سيد قطب ، ط دار الشروق ، الطبعة السادسة ،١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
نقد الشعر / قدامة بن جعفر، ط مكتبة الكليات الأزهرية ، ط أولى ، ١٣٩٨هـ .
النكت في إعجاز القرآن. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله. ، ط دار المعارف ، ط٤، مصر .
وحي الرسالة / أحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثامنة .
وحي القلم / مصطفى صادق الرافعي ج٣ ، ص٢١،٢٠ ، راجعه د/ درويش الجويدي، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

المجلات والدوريات

مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكّمة تعنى بالأدبين العربي والفارسي) السنة الثالثة – العدد التاسع – ربيع ١٣٩٢ ش/ آذار ٢٠١٣ م .
مجلة الرسالة / العدد ٥٢٢ / بتاريخ: ١٩٤٣/٧/٥ ، مقال : دفاع عن البلاغة للأستاذ/ أحمد حسن الزيات.

الأطروحات

الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث، إعداد/ هبة إبراهيم منصور اللبدي ، رسالة ماجستير ، مخطوطة ، جامعة النجاح الوطنية / كلية الدراسات العليا ٢٠١٢م .

فهـــرس الموضوعـــات

الـمـوضـــوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	٢
المقدمة	٣
التمهيـــــد : **أولا**: فن الوصف فى الإطار الأدبى والنقدى	٥
ثانيا: مفهـــوم الصحـــابـــى	٦
المبحث الأول : البعـــد الدينـــي والإيمـــانى	٩
المبحث الثاني : البعـــد النفســـي والخلقـــى	١٦
المبحث الثالث : البعد الحسي والموقف العملى	٢١
المبحث الرابع : البنـــــاء الفنـــــى	٢٤
أولا : القيـــم التعبيريـــة	٢٤
ثانيا : القيـــم المعنويـــة	٣٢
ثالثا : القيـــم التصويرية	٣٤
الخاتمة	٣٨
فهرس المصادر والمراجع	٤٠
الفهرس العام	٤٣